

روايات مصرية للجيب

الطارق 2

الحديقة السوداء



د. شير زهران

مكتبة فريق_متميزون
لتحويل الكتب النادرة الي صيغة نصية
قام بالتحويل لهذا الكتاب:



كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصريه للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع علي تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه علي ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا علي توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) [انضم الي الجروب](#)

[انضم الي القناة](#)

سلسلة الطارق
٢.

الحديقة السوداء

د. سيد زهران

تنويه..

هذه السلسلة من وحي خيال المؤلف تمامًا، وأي تشابه في الأحداث أو الأسماء بينها وبين الواقع هو من سبيل الصدفة..

المؤلف



المقدمة

ديسمبر.. بوابة الدخول الأخيرة لفصل الشتاء، كل شيء لم يتغير هنا في مركز (أجزون)، العمل يسير في رتابة وملل مثل أحقر مستشفى حكومي مركزي.

بعدما لم يستطع (طارق) الانتصار لفكرته.. وتحويله إلى مركز محترف للحالات الحرجة والإصابات، الكل يجني المال في سعادة واستمتاع دون أدنى تفكير في هذا الخُبال الذي يحلم به.

أنهى (ممدوح) تلك الجراحة الصغيرة ودلف لمكتب (طارق) يُمارس الإرهاق، كان الأخير مُنكبًا علي حزمة أوراق أمامه..

- « يوم هادئ! »

قال (طارق) دون أن يرفع وجهه:

- « كل المصائب لا تأتي إلا بعد هذا الهدوء! »

ابتسم (ممدوح) في وقار لا يفارقه:

- « هل تذكر هدوء الصحراء الغربية؟ »

ترك (طارق) الملف وابتسم بدوره:

- « وهل تلك أيام يستطيع أحد نسيانها، يكفي أننا تعرفنا هناك لأول مرة.. »

ضحك (ممدوح):

- « نعم.. حينها اتخذتُ قرارًا بعدم معرفتك ثانية! »

- « اطمئن.. كل مَنْ دخل حياتي - غالبًا - اتَّخذ ذلك القرار.. »

تشارك الاثنان الضحك للحظات قبل أن يعود (طارق) يسأل: - « ماذا فعلت مع (فدوى)؟ »

احمر وجه (ممدوح):

- « لا شيء.. »

تأمله (طارق) باستمتاع:

- « ستُضيع منك إن بقيت سلبياً هكذا.. »

(ممدوح) باستنكار:

- « مشاعري غير واضحة تجاهها!.. لكنني في ذات الوقت أريدها قريبة دائماً! »

ضحك (طارق):

- « هذا يطلقون عليه الحب! »

عَدل (ممدوح) نظارته بارتباك:

- « حتي لو كان كذلك، أنا غير مستعد لهذا الآن.. »

- « وهل المشاعر تحتاج إلي استعداد؟.. ستفقدوها.. »

تراجع (ممدوح) بقلق:

- « ماذا أفعل إذن؟ »

- « حسم الأمر.. »

- « كيف؟ »

دار (طارق) حول المكتب بحماس:

- « أين ستكون غدًا؟ »

- « مَنْ؟ »

- « (فدوى)؟ »

- « بالمطار.. ستسافر إلي (السويد) مع أبيها لقضاء عطلة سريعة عند جدتها.. »

(طارق) بمرح:

- « (السويد)!.. وجدتها!.. يبدو أنها غنية؟ »

- « نعم.. هي غنية فعلاً، لكنك حين تُعاملها لا تشعر بتلك الطبقية.. »

(طارق) بمزید من المرح:

- « عظيم.. أنت محظوظ إذن!.. ما رأيك في لقاء دُرّوة بالمطار وأنت تحمل الورود الحمراء.. وتعترف بحبك؟ »

تسمر (ممدوح) ينظر له بغيظ من استيائه للفكرة!.. قبل أن ينهض ويغادره بعنف، استوقفه (طارق) وهو يضحك: - « صدقني.. هكذا تسير الأمور مع تلك

النوعية من الفتيات..»

(ممدوح) بحدة غاضبة:

- « هذا تقليدي جدًّا!.. أيضًا لا يناسبني! »

كاد (طارق) أن يهلك من الضحك وهو يضيف:

- « لا تُحاول أن تُغير القواعد.. تخيل معي هكذا، فتاة غنية غير طَبقية.. وطبيب
وسيم خجول يحمل الزهور الحمراء بالمطار!.. حتمًا ستكون النهاية لصالحك..
«

انتزع (ممدوح) ذراعه منه بحسم:

- « تصبح علي خير.. »

لم يتوقف (طارق) عن الضحك حتي دلف لغرفته، كانت كل الأجواء تدفع
للنوم، إنها من الليالي النادرة التي يسود فيها ذلك الهدوء!

بَدَل ملبسه.. ثم وَجد رغبة مُلحة في إخراج يومياته (أوغاد في حياتي)، يبدو
أن حديث (ممدوح) عن الصحراء، أثّر تلك الذكريات البعيدة.. (العلمين)..
الشيخ (موسى).. وتلك المرأة الغامضة التي دلفت للطوارئ صباح ذلك
اليوم!.. حسنا يبدو أنني سأروي تلك القصة.. (الحديقة السوداء)؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

1 - المهمة..

القاهرة (٢٠١١)، أيام التخرج الأولى.. وشقة صغيرة بالدور الثالث حي الدرب
الأحمر، كان صيفًا شديد الحرارة.. مظاهرات لا تتوقف.. احتقان سياسى..
عصبية بين الناس!.. باختصار كان مناخ (القاهرة) لا يُحتمل.. وطَّارِد للجميع.

استيقظ (طارق) صباح ذلك اليوم علي صوت موبايله الموتورولا (Motorola)
الصغير، أخذ يبحث عنه دون أن يفتح عينيه: - « ألو.. »

- « ما زلت نائمًا؟ »

- « أهلا (ماجد).. »

- « إنها العاشرة.. »

(طارق) بسخرية:

- « وماذا يعني هذا؟ »

- « يبدو أنك نسيت! »

اعتدل (طارق) يفرك عينيه:

- « آه.. مقابلة مكتب الوزير للرعاية العاجلة.. »

- « هل ستذهب؟ أم غيرت رأيك؟ »

هرش (طارق) رأسه كالعادة:

- « أشعر أنهم سيطردوننا.. »

- « لماذا؟.. البلد في حالة طوارئ ولا يجدون أطباء، أضف أننا علي قوة الزمالة المصرية منذ ستة أشهر، يعني هناك فرصة إن شاء الله.. »

(طارق) بعدم اقتناع:

- « حسناً.. سألحق بك هناك.. »

انتهت المكالمة.. وألقي الهاتف، بعدها نهض يبحث عن أي شيء يأكله.. لم يجد، كانت الشقة عبارة عن صفحة زبالة كبيرة!.. لا يوجد بها شيء في مكانه، الصراصير ترتع في كل ركن.. أضف الصخب الدائم للمنطقة.

كل هذا اعتاد عليه (طارق) كبداية له في القاهرة، بعدما أنهى عام تكليفه الصحي الإجباري في مدينة (بلطيم) الساحلية.

صوت جرس الباب..

- « مَنْ؟ »

- « أنا يا دكتور؟ »

كان صوت فتي القهوة التي تحت المنزل، فتح الباب..

- « صباح الخير يا دكتور.. المعلم مريض ويريدك أن تراه.. »

شعر (طارق) بالغيظ، لأنه لا يملك رفاهية الرفض!.. فالمعلم (صابر) صاحب البيت كائن لزوج.. ولن تُقنعه كلمة مشغول أو حتي وراءه مُقابلة مصيرية.

أضف أنه منذ أن أعطاه الشقة يتعامل معه علي أنه ملكية خاصة.. ويطلق عليه باستمرار لقب (الوَاد الدكتور)!

كل هذا لم يكن يُقلق (طارق) بقدر قلقه من ابنة المعلم (دارين).. فالمصيبة أن الفتاة تري فيه فتي أحلامها المنتظرة!.. وتصمم علي هذا بشكل هستيري..

- « حاضر.. »

اقتحم فتي القهوة الشقة بوقاحة يأخذ الحقيبة..

- « لا تتأخر.. »

(طارق) بمزيد من الغيظ المكبوت:

- « دقائق.. وسأكون عند المعلم.. »

oo oo oo oo oo

وقفت مدام المعلم تساعد (طارق) حتي أنهى كشفه، تراجع في استياء من
الرائحة يقول: - « نزلة معوية حادة.. »

المدام بدهشة كوميدية:

- « وما السبب يا دكتور؟ »

وضع (صابر) يده علي كرشه الضخم وهو يتأوه:

- « آه.. أكيد من قَته الكوارع أمس! »

(طارق) بمزيد من الاستياء:

- « بسيطة إن شاء الله يا معلم.. »

وأعطاه بعض الحُقن، قالت المدام بعدما انتهى: - « تفضل من هنا يا دكتور..
تسلم يدك.. »

سار (طارق) خلفها حتي غرفة واسعة. جلس يكتب وصفته الطبية، لكن فجأة
ظهرت (دارين) تُقدم مشروبًا غازيًا.. وتحمل تلك النظرة!.. ارتبك (طارق): - «
لماذا هذا التعب؟ »

رَبَّت المدام علي كتفه كخروف العيد:

- « أنت لم تعد غريبًا يا دكتور! »

ابتسم (طارق) في إسفاف، بينما جلست (دارين) تتأمل به بخجل وتعديل من
ملابسها، كانت حقًا جميلة.. رقيقة.. وعاطفية أيضًا، لكنهما من عالمين
مختلفين تمامًا!..

تأملتهما الأم بتمني واضح.. وران الصمت..

أصبح الموقف سيئ لدرجة المتعة.. فتناول (طارق) جزءًا من المشروب.. ثم
قال: - « هذا العلاج لابد أن يستمر لثلاثة أيام، ممنوع خلالهم تناول أي
بروتينات.. »

ثم مد يده بالوصفة يعطيها لمدام المعلم.. فقالت بفخر: - « أعطيتها ل-
(دارين).. لقد حصلت هذا الأسبوع علي دبلوم التجارة.. »

(طارق) بمرح:

- « حقيقى.. مبروك.. »

أخذت منه الوصفة بخجل.. فنهض (طارق) يردف:

- « بعد إذنكم.. »

(دارين) بانزعاج:

- « إلی أين؟.. أنت لم تشرب شيئاً بعد.. »

- « وقت آخر.. »

نظرت الفتاة للأم تستغيث.. فتدخلت:

- « كما تُحب يا دكتور.. لكنك مَعزُوم علي العشاء الليلة.. »

- « للأسف عندي مستشفى.. فرصة ثانية بعد شفاء المعلم إن شاء الله.. »

وأسرع يهرب كي لا يتورط في المزيد.. وعقله يُحاول الإجابة علي سؤالين مهمين، كيف تصاعد طموحهم نحوه لتلك الدرجة.. وكيف امتلك المعلم الجراءة لتسمية ابنته (دارين)؟..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الدور الثالث.. مبني الرعاية العاجلة بمكتب وزير الصحة..

- « لماذا تأخرت هكذا.. »

(طارق) بكوميديّة:

- « إنها (دارين) بنت المعلم.. »

ضحك (ماجد):

- « ما زالت تُطاردك؟ »

- « تستطيع قول أنها لم تَمَل بعد، المهم ماذا سنفعل الآن؟ »

- « أين أوراقك؟ »

- « أنت لم تَقُل أن هناك أوراق.. »

(ماجد) بغیظ:

- « تعالى.. ربنا يستر ولا نحتاج لها.. »

دلف الاثنان إلي موظف هادئ اسمه (عدنان) يحمل تلك النظرة الحكومية الشهيرة..

- « أي خدمة؟ »

- « نريد مقابلة دكتور (الشيمى).. »

- « خير؟ »

كان (ماجد) من نوعية الأطباء التي لا تشعر بالخلج وتتكلم بوقاحة: - « نريد الانضمام لفرق الانتشار السريع.. »

تفحصه (عدنان).. ثم قال:

- « لا نقبل غير الزمالة المصرية.. »

- « نحن علي قوتها فعلاً.. »

- « الهويات لو سمحتم.. »

أخذها منهم وقام بتصويرها.. ثم عبث في كومبيوتر محمول أمامه.. بعدها تقدمهم لمكتب المدير: - « أطباء جدد يريدون الانضمام لقوتنا.. »

تفحص أوراقهم المحدودة سريعاً، وعلي عكس ما توقع (طارق)!.. نهض الرجل يضافهم بابتسامة ودودة قائلاً: - « حمد الله علي السلامة.. تفضلوا.. »

تبادل (ماجد) و (طارق) نظرات الارتياح.. و المدير يُجري معهم حوارًا بسيطاً عن أهمية الدور الذي تلعبه فرق الانتشار في التعامل مع الحوادث والإصابات حتي سألهم في النهاية: - « هل تعرفون قواعد العمل؟ »

(ماجد):

- « طبعاً.. لكننا نفضل سماعها من حضرتك.. »

- « حسناً.. تكليفكم غالباً ما يكون لمناطق نائية.. وعبارة عن شهر واحد قابل للتجديد، تحصلون من خلاله علي بدلات مالية مميزة فوق رواتبكم الأصلية.. »

(طارق):

- « وبالنسبة لجهة عملنا الأصلية، كيف سَتُعَلِّمهم بالأمر؟ »

اعتدل المدير يُجيبه بوقار:

- « يقوم المكتب هنا بإرسال فاكس لمستشفياتكم يحمل التفاصيل، لكن المشكلة أن بعض الجهات تعترض.. »

(طارق):

- « والحل ؟ »

ابتسم المدير يقول:

- « لا تشغل بالك بتلك القصة يا دكتور »

وعاد ينظر للورق كي يتذكر اسمه.. فعاجله (طارق): - « (طارق) يا فندم..
(طارق عبد الملك).. »

- « لا تقلق.. نحن نتصرف معهم.. »

كان دكتور (الشيمنى) نموذج للشخصية الاستثنائية التي يفضلها (طارق)!..
والتي لا يُقابلها كثيرًا في ظل نظام حكومي فاشل يرتع في الفساد، لذا نمي
بداخله مُبكرًا شعور بالارتياح تجاه الرجل.

شارف اللقاء علي الانتهاء.. سألهم المدير:

- « أين تريدون التكليف ؟ »

(طارق) بحماس:

- « أبعد مكان ممكن! »

ابتسم يفكر:

- « مستشفى (رأس الحكمة)، سيكون برفقتكم عنصر جراحة، أريد السيطرة
الكاملة علي الطوارئ، أريد أيضًا معرفة حقيقة ما يحدث هناك؟.. فالمدير
دائم الشكوي وغالبًا لا يُرسل لنا أرقامًا صحيحة!.. سأتابعكم باستمرار..
بالتوفيق.. »

لم يصدق (طارق) أن هذا يحدث..

- « آه.. نسيت أن أهنئكم بشهر رمضان، الصيام بعد غد، كل سنة وأنتم
طيبين.. »

- « وحضرتك طيب.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان التكليف فرصة ل- (طارق) للحصول علي بعض المال، أيضًا يرتاح قليلًا
من المعلم وابنته الهستيرية.. حتي يجد سكنًا بديلًا.

لم يبق سوى مشكلتين، الأولي الاتصال بأمه في البلدة ليعلمها أنه سيبتعد
أكثر، والثانية الدخول إلي الشقة خلسة لأخذ أغراضه!

هذا جعله يتأخر قدر استطاعته، حتي تجاوزت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، دخل المنطقة بسرعة.. ثم توقف في بئر السلم المظلم.

وقف يتأمل السلالم بحذر، كما فَعَلَ (عمر الشريف) في فيلم (في بيتنا رجل). بدا كل شيء هادئًا، أخذ نفسًا عميقًا وصعد.. لكن فجأة!..

- « كُنْتُ أتصورك سَتَبِيت في المستشفى! »

كان هذا صوت (دارين).. وهي تهبط نحو شقته ببطء من الدور الذي يعلوه مباشرة، إنها اللحظة التي أراد (طارق) تجنبها، استدار يحمل تلك الابتسامة المُفتعلة: - « لقد أنهيت العمل منتصف الليل.. »

وقفت تتأمل بهجرأة غير مُعتادة في الفتيات: - « ما الذي أخرجك إذن حتي الآن؟ »

كان السؤال سخيًّا واعتداءً علي حرّيته، لكن (طارق) تجاوز ذلك قائلاً: - « خير؟.. هل هناك أي شيء يخص صحة المعلم.. »

- « بابا تحسن كثيرًا بعد العلاج.. تسلم يدك.. أنا فقط أحضرت لك العشاء.. »

لم ينتبه (طارق) للصينية التي تحملها سوي الآن..

- « لم يكن هناك ضرورة لهذا! »

- « ماما هي التي صممت، تقول إنه أقل شيء نقدمه لشخص يشملنا برعايته.. »

مد (طارق) يده يأخذ الصينية.. فأضافت ضاحكة: - « افتح الباب أولًا! » ارتبك وأسرع يفعل!.. فدلقت للشقة تضع الطعام دون إذن، ازداد الموقف توترًا لدرجة أن (طارق) بقي عند الباب ينتظر خروجها..

- « شَقَّتْكَ تحتاج إلي تنظيف.. »

كان لابد لـ (طارق) أن يتصرف سريعًا.. وإلا وَجَد فجأة المعلم والجيران وربما المنطقة كلها تحاصره.. وتطالبه بالزواج..

- « شقة طالب! »

- « سأساعدك في ترتيبها.. »

وكادت أن تشرع في هذا بحماس.. استوفها (طارق) يهمس: - « طبعًا لن يصلح هذا الآن!.. الوقت تأخر.. »

توقفت بإحباط:

- « متي إذن؟ »

مد يده إليها بالمفتاح:

- « ما رأيك غدًا؟ »

تحمست وخرجت تلتقطه بسعادة.. ثم نظرت له بهوس تردف: - « اتفقنا.. تصبح علي خير.. »

اكتفي بنفس الابتسامة المفتعلة، حتي دخل الشقة وأغلقها بالترابيس: - « الحمد لله.. »

وقف خلف الباب يلتقط أنفاسه للحظة!.. ثم أسرع يلم أغراضه وكتبه.. ويحشرها في حقيبة رياضية تُشبه مخلّة البحارة، بعدما قرر عدم العودة ثانية، لكن رغم ذلك لم يستطع مقاومة تناول عشائه الأخير بنهم!.. حقا سيفتقد ذلك الطعام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



2 - الفريق..

الصحراء الغربية الخامسة مساءً، يهبط (طارق) من أتوبيس وسط وغرب الدلتا الخُرْدَة، بعد رحلة سفر استغرقت سبع ساعات، يتأمل ذلك الفارغ القاحل الذي يُحيط به.. وتلك اللافتة العملاقة..

مستشفى (رأس الحكمة) للإغاثة والطوارئ.

إنها صحراء حقيقية هذه المرة، لم يُلطفها سوي تلك اللمسات المدنية الطفيفة، بنزينة.. زاوية مسجد.. بعض الأشجار.. أخيرًا محل يُقاله يبيع البضائع الأمريكية.

هذا المناخ هو ما يحتاج إليه تمامًا!.. فقد كان يريد الابتعاد عن مناخ العاصمة المُشتعل، حتمًا سيقبل الحديث هنا عن الثورة.

تحرك (طارق) نحو منفاه الجديد الاختياري، يتساءل بسخريته المعتادة: - « تري هل يوجد في ذلك المكان مَرَصَى؟.. وما فائدة وجود طبيب؟ »

حَمَل حقيبته الثقيلة وبدأ يمشي نحو المستشفى..

- « أيهم باب الدخول؟.. لنجرب هذا! »

صغير رياح.. فراغ.. أخيرًا ذلك الصمت المُخيف!..

- « يبدو أنه لا يوجد أحياء! »

بدأ (طارق) يَتَشَكَّى أن هناك وباء ما قد أصاب الجميع!.. وأنه الوحيد الآن الباقي حيًّا. بعد الغروب حتمًا ستخرج تلك الكائنات لتحاول امتصاص دمائه!..

هو أمل البشرية الأخير الآن؟.. ويجب أن يحرص علي حياته حتي يجد المصل!..

- « أي خدمة يا أستاذ؟ »

انتفض (طارق) يتأمل أول المخلوقات، كان أعرايًّا يحمل ذقن سلفية صغيرة وجلبابًا قصيرًا أبيض..

- « أنا طبيب الإصابات الجديد.. »

غيرت لهجة الرجل للترحيب المُتَحَفِظ:

- « هلا بك.. تفضل.. »

هذا الرجل سيكون فيما بعد (عبد الرازق) معاون المستشفى، أو (رُزوقا) كما يُحب أن يُطلق عليه، إنه (عبد الجبار) في فيلم (الأفوكاتو)، الشخص الذي يقدم الخدمات مدفوعة الأجر في أي مؤسسة حكومية مهما اختلف موقعها!..

قَادَهُ لسكن الأطباء بالدور الثانى..

- « مِنْ هُنا يا دكتور.. »

كانت الغرفة مُظلمة، دلف (طارق) فشعر بوجود أحد غيره بها!.. لو صَحَّت نظرية الوباء؟.. هُم حتمًا يستعدون للهجوم الآن، لكن الشمس لم تغرب بعد!..

قال (عبد الرازق) وهو يضع الحقيبة:

- « ستقيم سيادتكَ هنا بشكل مؤقت، لحين الانتهاء من تجهيز غرفة منفصلة.. »

قال (طارق) مُحاولًا تمييز أي شيء في الظلام:

- « نحن فريق.. هناك اثنان غيري في الطريق.. »

- « متي يصلون؟ »

- « خلال ساعات.. »

- « حسنا.. سأقوم بتجهيز غرفة كبيرة تسعكم جميعًا.. بعد إذن حضرتك.. »

انصرف المعاون.. واقترب (طارق) بحذر يحاول سحب الستارة..

- « لا لا لا.. من فضلك.. »

كان صوت الاعتراض يأتي من ركن الغرفة الأيمن، لكن غريبة!.. مصاصو الدماء لا يتحدثون بهذا التهذيب!..

(طارق) بتحفظ:

- « أنا لا أستطيع رؤية يدي! »

كان صاحب الصوت هو دكتور (آسر)، فيما بعد سنعرفه بالمتُحذلق الصعب إرضاءه، أخصائي عظام تم تكليفه ستة أشهر مناطق نائية ليتم ترقيته بوزارة الصحة..

- « إنها مُشكلتك وليست مُشكلتى.. »

- « ذلك يعني أنني سأظل هكذا؟ »

لم يأتِه ردًا!.. ولم يدر ماذا يفعل؟.. هنا ظهر أمامه فجأة شخص آخر يتسم: -
« أنا دكتور (هشام).. صيدلي المستشفى.. »

صافحه (طارق) بصعوبة.. ثم قدم له نفسه سريعًا:

- « هل تعرفون الضوء هنا؟ »

ضحك (هشام) وأخذ يساعده كي يصل لسريره:

- « نعم.. لكن في الصباح فقط عندما نخرج للعمل.. »

- « عظيم.. بداية لا بأس بها! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كالعادة وقبل البداية، لابد من الحديث قليلًا عن الجغرافيا، (رأس الحكمة) مدينة صغيرة، تقع في الساحل الشمالى، عند الكيلو (٦٧) بين (مطروح) و(العلمين).

كل بيت في تلك المدينة كان يبعد عن الآخر حوالي نصف كيلومتر تقريبًا.. ومكون من دور واحد فقط لأنه ليس من حقك التوسع الرأسى.

يقولون أنها كانت تعليمات أمنية، بسبب وجود قصر رئاسي عند الشاطئ.. ومهبط قديم للطائرات الهيلوكوبتر أنشأه الملك (فاروق) فوق هضبة شهيرة.

بعد الثورة انفلتت الأعصاب.. وسارع كل مَنْ له ثأر عند النظام في تصفيته!..

احتلال أراضى.. انتشار سلاح.. مخدرات.. حتي العربات المسروقة كانت تسير بدون نمر في تَبَجُّح!.. لدرجة أن أحدهم عرض علي (طارق) يومًا سيارة ب-(٣٥٠) جنيهًا!.. شرط ألا تتحرك أبعد من عشرة كيلومتر.

باختصار كانت (رأس الحكمة) بقعة خارجة عن سيطرة الدولة تقريبًا، ومجلس المشايخ هو الذي يحكم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المستشفى كانت واسعة جدًا وبها إمكانيات لا بأس بها، عُرف عمليات متكاملة.. إفاقة.. عناية قلب.. أجهزة حديثة.. قسم داخلى.

في الحقيقة لم يَبْخُل (مبارك) في تأييدها، لكن بعد الثورة.. وعندما تسلم الإدارة ذلك الشخص؟.. تحولت لشيء آخر!.. مشرحة للموتى!..

قام الرجل بتسريح كل الأطباء المتعاقدين، تحت ادعاء غياب الدعم، لدرجة أنه لم يعد يبقى سوى أطباء التكليف.

أغلق العمليات.. القسم الداخلى.. طارد التمريض.. حتي القطط لم تنج منه!.. كان يؤمن بأن الشفاء يأتي من عند الله.. وليس بكفاءة الأطباء!..

لم يكن له ولاء سوى للمواطنين الأصليين للمكان، عرب الصحراء، يذكر (طارق) جيدًا عامل النظافة البدوي (ناجي) عندما أخذ يصيح في وجهه، من أجل أمر ما.. بينما وقف (المدير) أمامه مؤدبًا!..

كان يخشاهم بشدة، لدرجة أنه كان يسمح للمعاون والعمال بمراقبة دفتر الحضور والانصراف.. مناوبات الأطباء!.. حتي وصل بهم الأمر إلي مرحلة التسلية!.. بإطلاق تَفِير الاستدعاء بعد منتصف الليل: - « علي السادة أطباء الطوارئ سرعة التوجه للاستقبال للأهمية.. »

وعندما ينزل البؤساء مُهرولين بملابسهم الداخلية.. يجدون البعض يضحك بلسان حال يقول: - « إنذار كاذب.. »

غرفة المدير كانت مثل السوق!.. مَشاع للجميع.. فمن حق أي أحد أن يدخل ويعرض بضاعته.

وعندما يأتي أحدهم يشكو شخصًا ما، يسمعه باهتمام.. وعندما ينصرف يذهب مباشرة للطرف الآخر ويُخبره بما حدث بشكل تصعيدي.. ليشتعل الموقف ويسيطر هو.

أجازاته العارضة لا تنتهى.. وعندما تسأل عن السبب تكون الإجابة غالبًا.. - « حالة وفاة.. »

كل أسبوع لديه حالة وفاة.. كأن العائلة تنهار.. أو عليها ثأر!..

أخيرًا عاداته المُسلية.. أولها الحديث عن الماضي، حيث مغامراته التي لا تنتهي علي حدود (تشاد) و(ليبيا) مع الطوارق، منطقة الصراع بين (العراق) و(إيران) في الثمانينيات.. وكيف كان مؤثرًا في مجري الحرب، أما دُرّة حكاياته علي الإطلاق فكانت في شمال السودان مع المُهربين.

أيضًا عادة جمع الأقلام، كان كلما وجد أحدهم يحمل قلمًا مميزًا، يبدأ في أكل أظفاره مثلما كان يفعل (فؤاد المهندس) بفيلم (مطاردة غرامية) عند رؤيته لحذاء حريمى.

حتما يوجد لديه صندوق ما تحت السرير يحمل كل تلك المقتنيات.. والتي يحرص علي أن يستمتع برؤيتها ليلاً وحيدًا!..

عادة أخرى أكثر غرابة، كان يهوي جمع بقايا العيش الجاف طيلة الأسبوع، ليأخذه معه حين عودته للدلتا.

المشكلة أن بعض القيادات اعتبروه ماهرًا في القيادة، بل وصل بهم الأمر إلي تشبيهه بدهية الإدارة الذي لن يتكرر (منتصر زيكو)!.. قالوا أنه خليفته. آه.. نسيت أنكم لا تعرفون أصلًا من هو (منتصر زيكو)؟.. حتمًا سيكون لنا حديث عن هذا!..

لكن إذا لم أتذكر، أرجوكم لا يحاول أحد لفت نظري.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ضوء النهار. استيقظ (طارق) صباح اليوم التالي، بعد نوم عميق لم يحظَ به منذ فترة، فتح عينيه بصعوبة، يري ملامح الغرفة التي ينام فيها، كانت واسعة نظيفة لكن عشوائية. اعتدل فوق السرير.. وصوت دكتور (آسر) الجاف يقول: - « يبدو أنك كنت مرهقًا جدًّا؟.. لم تتقلب طيلة الليل! »

تأمله (طارق)، كان طويلًا.. وسيمًا.. ويحمل ملامح صارمة قابلة للانفجار..

- « الهدوء هنا مُمتع! »

لم يتوقف (آسر) عن العبث في اللاب توب.. وهو يردف باعتراض: - « تأكد أنك بعد قليل سنُغير رأيك.. فكل من يأتي هنا يقول هذا في البداية! »

مَد (طارق) يده علي زجاجة المياه يشرب.. فصرخ به (آسر) فجأة: - « ماذا ستفعل؟.. إنه أول يوم رمضان! »

تراجع (طارق) ينظر للزجاجة بسخرية:

- « سيكون يوما صعبًا.. »

هنا.. انطلق ذلك النداء غير الواضح يتردد بأرجاء المستشفى: - « علي السادة الأطباء سرعة التوجه للاستقبال للأهمية.. »

- « ما هذا؟ »

(آسر) بلامبالاة:

- « إنه (رژوقا) يُمارس مهامه.. يبدو أن هناك حادثًا! »

انتفض (طارق) بسرعة يرتدي إسكِراب (scrub) العمل الخاص به يردد: - « هيا بنا.. أنا مستعد.. »

لم يبذُ علي (آسر) أي اهتمام.. وظل ينظر لشاشة الكمبيوتر قائلاً: - « التعامل مع الحوادث ليست مهمتي.. أنا هنا لِغُروض العظام فقط.. »
اندهش (طارق) من بروده الشديد!.. وأسرع نحو الطوارئ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان حادث أتوبيس.. ويقترب المصابون من العشرين، الدماء في كل مكان.. وبعض الطبيبات.. التمريض.. المُسعفون.. العمال.. وأخيرًا دكتور (ماجد).. يُحاولون السيطرة علي الموقف، ارتدي (طارق) قفازين وانطلق يعمل: - « متي وصلت؟ »

أجابه (ماجد) وهو يساعده في السيطرة علي نزيف حالة أمامه: - « الفجر.. »
صرخ (طارق) في أحد المسعفين:

- « ضع هذه الحالة هنا.. »

تدخل (ماجد):

- « اتركها لى.. أريد منظرًا حنجريًا.. »

انتقل (طارق) يهتم بحالة أخرى وكاد يلمسها، هنا سمع صوت حازم يأتيه من الخلف يقول: - « أنت لم تُغير القفاز بعد من الحالة الأولى.. »

التقت عينا (طارق) في تحدي بعين صاحب الصوت طويل القامة.. وهو يخلع القفازين الملوئين بالدماء بطريقة مسرحية.. ليبدو تحتهم قفازان جديان معقمان: - « معك حق.. من أجل هذا أرتدي دائمًا أكثر من واحد.. »

عَدَل الطبيب نظارته في إعجاب وهو يردد:

- « عظيم.. استمر.. »

ثم ربت علي كتفه بتشجيع.. وانصرف يتابع بقية الحالات، شعر (طارق) بالغيظ من أسلوبه، فسأل (ماجد): - « مَنْ هذا؟ »

أجابه:

- « (ممدوح حجازي) نائب جراحة.. وعضو الفريق الثالث.. »

تعامل (طارق) مع الحالة التي أمامه وهو يضيف:

- « ما زال نائبًا ويتحدث هكذا!.. ماذا سيفعل إذًا عندما يصير أخصائيًا؟ »

ابتسم (ماجد) والدماء تُغرق يده:

- « كل نواب الجراحة باردين.. »
هنا تسرب إليهم صوت أنثوي يردد:
- « أريد نائب عظام.. »
تحرك (ماجد) نحوها وفحص الحالة.. ثم قال بلهجة آمرة: - « أريد عمل أشعة
لذلك الحوض فورًا يا أبله.. »
قالت الفتاة بتشنج:
- « أنا لست أبله علي فكرة!.. أنا الدكتورة (عفاف) نائبة جلدية! »
(ماجد) بمزيد من الاستفزاز المتعمد:
- « سنري هذا فيما بعد.. الآن تحركي.. »
كادت الطبيبة أن تبكي وهي تبتعد بالحالة، ابتسم (طارق) قائلاً: - « كُنت
قاسيًا معها! »
- « الطب في مصر ليس مهنة أنثوية.. »
- « سيقتلونك لو جَهرت بهذا.. »
(ماجد) بشدة:
- « كل مَنْ يتعامل معي مِنْهُنْ يعرف هذا جيدًا.. »
أتي صوت أنثوي آخر يصيح:
- « أريد نائب عظام.. »
غمز (ماجد) له بعينه في استمتاع:
- « بعد إذنك.. »
وراح يُمارس عبارته المفضلة كلما وجد طبيبة ما أمامه..
- « أيوه يا أبله! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرابعة والنصف عصرًا، مر اليوم بصعوبة حقيقية علي الجميع، عدا الوغد
(آسر) الذي لم يغادر سريره، اقترب (عبد الرازق) المتوتر دائمًا يقول
باحترام: - « لولاكم اليوم لفقدنا غالبية الحالات.. »
تجاوز (طارق) عبارته وهو يغسل يديه متسائلًا:

- « هل نقلت حقيبتى لغرفة الفريق؟ »

- « نعم.. أحضرت لك أيضًا قارورة مياه معدنية كبيرة.. »
(ماجد):

- « كيف سنفطر اليوم؟ »

(عبد الرازق) مُبتسمًا:

- « (أم عبده) ستهتم بهذا.. »

ثم انصرف، صعد الفريق للسكن يفتك به العطش، الكل جلس علي سريره ينتظر لحظة أذان المغرب..

(ممدوح) العميق الكلاسيكي حاول شغل نفسه بقراءة صحيفة أمس، (ماجد) المتمرد الوقح مَثَل للنوم.. أما (طارق) الذي كان يؤدي دوره في الحياة دون اقتناع.. قال: - « مَنْ منكم يحب السَّلطة؟ »

رد (ماجد) بحماس:

- « أنا مدمن عليها.. »

انتظر (طارق) أن يعلق (ممدوح) وعندما لم يفعل سأله: - « وأنت؟ »
أجاب بترفع:

- « لا بأس.. سأجرب القليل.. »

قاوم (طارق) غيظه..

- « حسنا.. من سيذهب معي للسوق؟ »

(ماجد):

- « وهل يوجد هنا سوق؟ »

- « نعم.. (عبد الرازق) أخبرني أن هناك واحدًا قريبًا.. »

رن هاتف (طارق) للمرة العاشرة اليوم، كانت (دارين) التي لم تتوقف عن الاتصال منذ الصباح، أغلق الهاتف وانطلق مع (ماجد)، لكن فجأة استوقفهم صوت (ممدوح) عند الباب: - « انتظرا.. سأذهب معكم.. »

تبادل (ماجد) و(طارق) النظرات الغامضة والأخير يقول بدهشة: - « سنشتري بصلاً وخيارًا وفلفلًا! »

قال (ممدوح) بلهجة (أحمد مظهر) في الأيدي الناعمة: - « أنتم مَنْ سَيَفعل
هذا، أما أنا سأشاهد المدينة! »
ضحك الجميع وبدأت نواة صداقتهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



3 - الشيخ موسى..

مر أسبوع هادئ مُمل، سيطر خلاله الفريق علي الطوارئ لدرجة أن دكتور (الشيبي) شعر بالقلق واتصل يَطمئن، كان لا يصدق أن مستشفى (رأس الحكمة) المثيرة للقلق لم تعد كذلك!..

بعدها صارت الأيام تشبه بعضها.. والكل يبحث عن شيء يمارسه. سَمع (طارق) منذ اليوم الأول له بالمكان عن شاطئ (رأس الحكمة) الساحر المُحرم علي الجميع، يقولون أن (مبارك) كان يُعاقب كل مَنْ يقترب من القصر.

تري هل تغيرت القواعد بعد رحيله؟.. حتمًا سيلطف هذا الشاطئ تلك الأيام الجافة التي تقود للخلل النفسي.. فالجميع لم يعد يتحمل ذلك الصمت، خاصة دكتور (آسر).. والذي بدأ يُمارس هواية ضرب المدير كلما شعر بالفراغ!..

أما (هشام) الصيدلي فرغم الاكتئاب والسجائر التي يحرقها بكثافة يوميًا بعد الإفطار، وَجَد لنفسه أملًا يحيا من أجله وهو « الزمالك قادم »!

كان يتحسس أخبار النادي باهتمام.. وعندما كانت تُذاع مباراة، يُعلن حالة الطوارئ ويشجع بكل جوارحه. المشكلة الحقيقة كانت عند الهزيمة.. مزيد من الاكتئاب.. مزيد من الدعوة للصمود.. وعلي العهد باقون!

عجيب أمر هذا الجمهور!.. فرغم طول الانتظار.. ورغم الشعيرات البيضاء التي تسربت إلي رأس ذلك الجيل، ما زال لم يفقد الأمل بعد في تفوق الزمالك علي الأهلي يومًا ما!.. أعتقد أنه هكذا تُصنع العُقد!

في عصر ذلك اليوم، وبينما الكل جالس بالردهة يشاهد مباراة إجبارية لنادي الزمالك بالتليفزيون.. وصغير رياح الصحراء يأتي من نافذة بحرية قريبة، دلف المعاون (عبد الرازق) يردد: - « المدير يُريدك يا دكتور.. »

دون أن يفتح (طارق) عينيه:

- « خير؟ »

توتر (عبد الرازق) وبدا أنه يكذب:

- « لا أعرف.. لكن يبدو موضوع مهم.. »

(آسر) مُتهكمًا:

- « وهل يوجد هنا شيء مهم؟ »

رغم أن المدير كان غير مُقنع ويُسفِهه الجميع، لكن (طارق) ظل يعامله بشكل جيد، نهض يرتدي البالطو الأبيض.. ولم تمر دقائق حتي كان يطرق باب غرفته..

- « ادخل.. »

دلف بحذر.. استقبله المدير بلهفة زائدة تُبشر بكارثة..

- « ها هو البطل.. أكفأ وأنشط طبيب عندى! »

طبعًا لم يكن (طارق) مُعتادًا علي هذا السلوك بينهما.. لذا قال بحذر: - « خير يا دكتور.. »

وضع المدير يده علي كتفه كالأصدقاء وهو يقول: - « كل خير طبعًا.. »
لاحظ (طارق) شيئين أثارا توجسه بشدة، الأول كان المدير بملابسه الداخلية مما يُوحى بأهمية الحدث، الثاني وهو الأهم وجود ثلاثة ثيران بشرية يرتدون ملابس البدو البيضاء ويحمل كل منهم سلاحًا حول خصره!

- « أقدم لك أولاد الشيخ (موسى).. »

أراح (طارق) يده عن كتفه بهدوء يسأل:

- « وَمَنْ هو الشيخ (موسى)؟ »

زمجر أحدهم من جهله.. فتدخل المدير يضحك بهستيريا مُفتعلة يُلفف الموقف: - « الشيخ (موسى) أحد أهم شيوخ القبائل هنا.. »

قال آخر بحدة يُعدل اللقب:

- « أبي زعيم كل شيوخ القبائل.. »

تمتم المدير بنفس البهجة الزائفة:

- « طبعًا.. طبعًا.. »

ثم سحب (طارق) من يده لغرفة جانبية يهمس بجدية مفاجأة: - « يبدو أن الشيخ مُصاب ويحتاج للخدمة الطبية، يقولون أنه أجري جراحة في مستشفى (العلمين) ويحتاج الجرح إلي غيار.. »

ابتسم (طارق):

- « وهل يحتاج ذلك الأمر البسيط لكل ذلك الضجيج! »

تلجلج المدير:

- « الشيخ ليس في المستشفى.. »

فهم (طارق) الموقف:

- « تقصد في الصحراء.. ويريد طبيبًا يذهب إليه.. »

- « بالضبط.. »

هز (طارق) كتفيه..

- « ما زلت لا أرى مشكلة، أرسل أحد شباب التمريض.. »

- « الكل رفض الذهاب.. »

- « لماذا؟ »

تردد المدير:

- « يخافون.. فالشيخ سمعته ليست علي ما يرام.. »

كاد (طارق) أن يصرخ في وجهه وهو يقول: - « تكلم مباشرة من فضلك.. »

ازدرد المدير لعابه ثم قال بحسم:

- « يقولون أن الشيخ أكبر تاجر سلاح ومخدرات في المنطقة الغربية، لكن لم يثبت عليه شيء! »

ران الصمت بينهما لثواني.. قبل أن يعود المدير يستطرد بلهجة بكاء: - « أرجوك ساعدنى.. »

- « كيف؟ »

- « أريد أن تذهب معهم.. »

ضاقت عينا (طارق):

- « وإذا رفضت ماذا سيحدث؟ »

عادت لهجة البكاء تنتاب المدير:

- « صدقنى.. ليس أمامنا اختيار.. إنهم قادرون علي تفجير المستشفى! »

رغم مناخ التوتر المُخيم علي الحوار إلا أن (طارق) ابتسم قائلاً: - « وأين الشرطة والجيش؟ »

- « الوضع هنا مختلف!.. خاصة بعد الثورة!.. الجميع يخشاهم الآن! »

عاد الصمت ثانية.. و(طارق) يفكر بالأمر..

- « ما رأيك ؟ »

حسم الأخير موقفه سريعًا:

- « أوافق.. لكن بشرط ؟ »

المدير بلهفة:

- « كل طلباتك أوامر.. »

أشار (طارق) لمائدة طعامه المستديرة..

- « أنت دائمًا في حالة سفر.. ولم يعد لك حاجة بها، أريد أن يتم نقلها بالكراسي إلي سكن الأطباء.. »

المدير في غيظ:

- « اتفقنا.. »

عاد للرجال يستطرد بحماس:

- « دكتور (طارق) سيذهب معكم بنفسه.. »

ساد الارتياح الوجوه..

- « يا هلا بيك.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تم اختطاف (طارق) تقريبًا في عربة نصف نقل مكشوفة.. والتي انطلقت تنهب مساحة لا بأس بها من الصحراء، كان كلما مَرَّ الوقت شعر بمدي تورطه، نظر يقول للسائق الصارم: - « ما اسمك ؟ »

أجاب دون أن يلتفت:

- « (خير الله مُساعد).. والصغير هذا أخي (هارون).. وهذا (فايز) ابن عمي.. »

اكتفي (طارق) بإمالة من رأسه.. وأخذ يتأملهم في المرآة الأمامية، دار (خير الله) حول تبة رملية وهو يستطرد: - « (هارون) هو الوحيد الذي تعلم بيننا وحصل علي الشهادة الكبيرة! »

- « شهادة إيه ؟ »

- « دبلوم زراعة! »

سيطر (طارق) علي انفعاله الساخر:

- « ما شاء الله.. هل ما زال أمامنا الكثير؟ »
ابتسم (خير الله):
- « يبدو أنك خائف!.. لا تقلق يا دكتور، أنت الآن في حمايتنا.. »
ابتسم (طارق) بدوره:
- « أنا؟.. لا أبدًا.. إنني فقط لا أريد الغياب كثيرًا عن طوارئ المستشفى.. »
- « الله يقويك.. عملكم صعب.. »
عاد الصمت يغلفهم لدقائق حتي عبرت السيارة غابة من أشجار التين..
- « مَنْ هنا تبدأ أراضينا حتي الشاطئ.. »
نظر (طارق) نحو ما يشير، كان هناك صخرة كبيرة تنتهي بسفح هائل..
- « تقصد كل هذه المساحة؟ »
- « نعم.. »
- « البحر قريب إذن من هنا؟ »
- « ربع ساعة في هذا الاتجاه.. »
- ضاقت عينا (خير الله) بخبث وهو يستطرد: - « هل تريد الذهاب؟ »
اهتم (طارق):
- « طبعًا.. لكنني أسمع أنه شاطئ رئاسي!.. وممنوع علي المدنيين الاقتراب! »
- تحسس (خير الله) سلاحه بشكل غريزي وهو يقول بغضب: - « إنها أراضينا!..
واليوم عادت إلينا.. »
- شعر (طارق) أن تلك المنطقة من الحوار تُثيره.. فصمت حتي لاحت واحة بالأفق: - « وصلنا.. »
- ركن (خير الله) السيارة وارتجل..
- « تفضل من هنا يا دكتور.. »
- قفز (هارون) و(فايز) من صندوق السيارة الخلفي يعدلون ملابسهم..
- « أيهم منزل الشيخ؟ »

اكتفي (خيرالله) بالإشارة ثم واصل طريقه، كان هناك رجال ونساء وأطفال، الكل ترك ما في يده وأخذ يرمق (طارق) بفضول شديد يصل للعداء، لم يكثر لهذا كثيرًا، لأنه غريب.. والغربة غير مقبولة هنا.

سار وسط الرمال بحذر حتي وصل للمنزل.. غرفة واسعة.. الشيخ يرقد كالصقر..

- « كيفك يا شيخ (موسى)؟ »

ابتسم مباشرة:

- « في فضل ونعمة يا دكتور.. »

صافحه ثم جلس بجواره، استطرد الشيخ يهمس في أذنه دون مُقدمات..

- « منذ قُدمك للمستشفى واسمك صار يتردد ب- (رأس الحكمة)! »

(طارق) بحذر:

- « غريبة مع أني جديد هنا! »

- « العبرة دائمًا بالأفعال حتي ولو كانت قليلة، هكذا يُعرف الرجال! »

ثم نظر الشيخ لأحد الأشخاص بالغرفة وهو يردف بقوة: - « فهناك مَنْ قد يدعي القرب لسنين.. ولا يفعل شيئًا إلا لنفسه! »

توترت الغرفة والبعض يتبادل النظرات..

- « بعد إذنكم.. »

كانت تلك هي عبارة الرجل الذي أرسل له الشيخ الرسالة غير المباشرة، لاحقه (هارون) يردد: - « انتظر يا عمى.. »

لم يتوقف الرجل والشيخ يقول بحزم:

- « (هارون)؟ »

تسمر الابن في مكانه وساد الصمت. كان الشيخ نموذجًا للرجل القوي في المكان.. والذي لا تستطيع أن تتنبأ بأفعاله، يصعد بك للسما في ثانية.. ثم يدعك تهوي في لحظة!.. شخصية عميقة غليظة.. غير مُريحة علي الإطلاق!

- « هل أستطيع أن أري الجرح؟ »

ابتسم الشيخ:

- « أنت هنا من أجل ذلك! »

يساعده (هارون) و(فايز) في خلع ملابسه، بدا الجرح مُتقيحًا وملتهبًا بشدة، تأمله (طارق) بدهشة: - « منذ متي لم تعتني بهذا الجرح؟ »

- « عشرة أيام.. وهذه أول مرة.. »

وضع (طارق) يده علي رأس الشيخ يتحسس حرارته باهتمام..

- « ألم تعانٍ من الحمي في أي وقت؟ »

نظر إليه الشيخ بقوة:

- « لا.. الحمد لله.. »

(طارق) بمزيد من الدهشة:

- « حالة هذا الجرح كفيلة بإخماد فيل! »

ابتسم (فايز):

- « عمي عَفَى.. وتزوج تسع نساء! »

اكتفي (طارق) بهز رأسه في إعجاب.. ثم طلب ماء ساخنًا. قضى أكثر من نصف ساعة يُحاول السيطرة علي الجرح، حتي وصل لأفضل نتيجة ممكنة..

- « لابد من غيار يومي لمدة أسبوعين علي الأقل مع أخذ هذا الدواء بانتظام.. »

الشيخ بلا مبالاة:

- « الله الشافي يا دكتور.. »

- « ونعم بالله.. لكن هذا الدواء ضروري جدًّا كي لا يحدث تسمم في الدم.. »

أنهي (طارق) كتابة وصفته الطبية ثم نهض يمسح عرقه، تأمله الشيخ قائلاً: - « يبدو عليك التعب.. »

ابتسم (طارق):

- « إنه الصيام.. »

نظر الشيخ لابنه (هارون).. فأسرع يضع مبلغًا من المال في جيب (طارق)..

- « ما هذا؟ »

- « شيء صغير لا يساوي فضلك! »

أعاد (طارق) المال في ترفع:

- « أنا هنا لخدمتكم يا شيخ.. »
- تعزز الطرفان لدقيقة كاملة، قبل أن يعود المال في النهاية لـ (هارون)، تدخل الشيخ يقول بحزم: - « (هارون)؟ »
- « أمرك يا أبى.. »
- « من الآن الدكتور في حمايتنا إلي أن يرحل، كل طلباته مُجابهة.. »
- ابتسم (طارق) في سخرية:
- « في الحقيقة أنا ليس لي سوى طلب واحد.. »
- « ما هو؟ »
- نظر للشمس عبر النافذة:
- « الذهاب إلي الشاطئ.. »
- ضحك كل مَنْ في الغرفة.. والشيخ يستطرد: - « لك هذا.. »
- ضاقت عينا (طارق) في غموض وهو يُضيف:
- « لكنني لن أذهب وحيدًا! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



4 - الشاطئ..

جلس الكل في ردهة السكن يعث في هاتفه ويشاهد التلفزيون. قال (ماجد) بقلق: - « لقد تأخر (طارق)؟ »

(آسر):

- « هل عندك أمل في عودته؟ »

(ماجد) بمزيد من القلق:

- « ماذا تقول؟ »

غمز (هشام) ل- (آسر) بطريقة عابثة.. ثم أضاف بجدية: - « ما يطمئنني قليلاً.. أن العام الماضي قد ذهب أحد شباب التمريض لنفس المهمة تقريباً وعاد سالمًا! »

عدل (ممدوح) نظارته باهتمام.. قائلاً وهو ينظر للوجه: - « هل هذا الكلام حقيقى؟ »

مط (هشام) شففيه بلا مبالاة مستفزة: - « كيف تُبرر إذا رفض المستشفى كلها الذهاب؟ »

اتسعت عينا (ماجد).. في حين انزعج (ممدوح) الذي بدأ يصدق: - « كيف تركتموه يذهب إذن؟ »

ثم نظر كل منهم للآخر في توجس، قبل أن ينفجر (آسر) و(هشام) في الضحك، قذفهم (ماجد) بالسادة.. عندما عرف أنهم يتلاعبون بهم.. هنا دلف (عبد الرزاق) يحمل قلقة الأذى: - « المدير يطلبكم.. »

صمت الجميع ...

- « خير.. حادثه جديدة؟ »

- « لا أعرف.. »

انصرف سريعاً.. ولم يعطهم فرصة لسؤال آخر..

- « يبدو أن هذا اليوم لن يمر بسلام.. »

دقيقتان وكانوا يقفون أمام الوغد المدير..

- « الشيخ (موسى) يطلب رؤيتكم.. »

تأملوا (خير الله) و(فايز) وثورًا آخر جديدًا. سأل (آسر) نفس سؤال (طارق): -
« ومن هو الشيخ (موسى)؟ »

أتتهم نفس الإجابة، بعدها تقدم نحوهم (خير الله) يقول: - « تفضلوا معي.. »
تراجع (آسر) خطوة للخلف.. في حين أضاف (ماجد) بثبات: - « مهلاً.. نريد أن
نفهم ما هي الحكاية أولاً! »

كان المدير ما زال يرتدي نفس الملابس الداخلية!.. اقترب يهمس: - « يبدو
أن دكتور (طارق) في مشكلة.. »
(آسر) بأنانية:

- « وما علاقتنا بالأمر؟ »

- « لقد سألتهم؟.. لا يُريدون إخباري بشيء! »
(ماجد):

- « هذا غير مُطمئن.. »

المدير:

- « احتمال أن يكون يريد المساعدة؟ »
ضاقت عينا (ماجد):

- « يُريد المساعدة مِنّا جميعًا؟.. لا.. هذا غير منطقي!.. هناك سبب آخر؟ »
(ممدوح) بحسم:

- « لن أذهب.. »

المدير بتوتر مُفتعل وهو ينظر ل- (آسر) في شماته: - « للأسف ليس لديكم
اختيار! »

(آسر) برعب:

- « يعني إيه؟ »

نظر المدير للأرض في صمت.. فأضاف (ماجد) بانزعاج: - « سَتُسلمنا لهم
هكذا ببساطة؟! »

تدخل (خير الله) يقول بشيء من اللين: - « لا داعي لكل ذلك القلق. أبي يريد
أن يرحب بكم.. وهذا سلوكه مع كل غريب يدخل المدينة.. »

(آسر) بانفلات أعصاب:

- « لا نريد هذا الترحيب.. »

تحسس (خير الله) سلاحه:

- « هذه إهانة.. »

تدخل المدير يضحك بعصبية..

- « لا.. الدكتور (آسر) لا يقصد، كل الحكاية أنهم لا يريدون ترك المستشفى بدون أطباء.. »

تراجعت لهجة (خير الله) قليلا:

- « هيا إذن؟ »

وشرع الثيران الثلاثة في سوقهم كالنعاج.. تدخل (هشام) يستغيث: - « يا دكتور؟.. افعل شيئاً!.. نحن يتم خطفنا! »

لكن المدير أدار وجهه يبحث عن العصفورة، بينما يتم شحنهم بالسيارة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت درجة حرارة مدينة (رأس الحكمة) تقل دائماً عن العادية خمس درجات علي الأقل، لا يوجد رطوبة، نسمة هواء باردة مُحتملة ليلاً..

باختصار إنها الأجواء المثالية لمن يريد قضاء الصيف.

مرت العربة التي تقل (طارق) مع (هارون) أمام حراسة الجيش دون خوف..

- « حياك الله.. »

بمجرد أن لمحوا وجه (هارون) انفتح الكمين، ابتسم (طارق) بعد المرور قائلاً:
- « يبدو الشيخ قوياً هنا.. »

(هارون) بتشنج:

- « إنها أراضينا.. »

تأمل (طارق) المشهد الذي بدأ يظهر أمامه بانبهار حقيقى..

- « سبحان الله.. »

أوقف (هارون) السيارة..

- « هذه منطقة وِعرة.. سنكمل علي الأقدام.. »

صعد الاثنان تبة رملية عالية غير مُنحدرة، تملؤها شجيرات التين الصغيرة،
تقدم (هارون) يستطرد بجدية: - « أبي بدأ يحبك.. »

ضحك (طارق):

- « بهذه السرعة!.. وكيف عرفت؟ »

ابتسم (هارون):

- « لأنه أبى!.. وأعرف جيدًا متى يُحب الناس.. ومتي يغضب عليهم؟ »

- « ربنا يستر؟ »

وصل الاثنان لنهاية التبة..

- « تفضل يا دكتور من هذا الممر.. »

ظهر الشاطئ الذي لم يتلوث بعد، رملة بيضاء ناعمة مثل السكر.. صخور
متفرقة طبيعية.. قصر رئاسي بالجوار.. أخيرًا طواحين هواء بيضاء نقية -
لتوليد الطاقة - تلوح بالأفق..

كان المشهد يفوق قدرة العين علي تحمل الجمال

- « يا الله.. ما هذا!! »

ودون وعي أخذ (طارق) يهبط التبة الرملية بحماس حتي احتضن المياه
الدافئة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

توتر شديد سيطر علي أجواء العربة النصف نقل التي كانت تقل الأطباء
للشاطئ دون علمهم، بناء علي توصية من (طارق) لإحداث عنصر المفاجأة،
ساعد علي هذا الوجوه الصارمة ل- (خير الله) و(فايز).

قال (ماجد) بحذر:

- « ما زال أمامنا الكثير؟ »

- « عشر دقائق أخرى.. »

تدخل (آسر) بعصبية:

- « لقد قلت هذا مرتين حتي الآن! »

أجاب (خير الله) بغلظة:

- « اعتبرها الأخيرة إذن.. »

لاح القصر الرئاسي وكمين الجيش، هنا انتاب (آسر) فكرة الاستغاثة.. فنظر ل- (هشام) الذي أدرك مقصده علي الفور، استوقفه يهمس: - « لا داعي.. »
- « لماذا؟ »

- « لا أشعر بالخوف! »

لم يقتنع (آسر) والعربة تتوقف:

- « الفرصة تضيع.. »

ضغط (هشام) علي يده كي يصمت، بينما تعود السيارة للحركة وتدخل الصحراء من جديد، قال (ممدوح) الذي بدا أنه يستمتع بالأمر: - « أشتم رائحة البحر.. »

(خير الله) ببساطة:

- « معك حق.. إنه قريب.. »

- « هل نستطيع التوقف لرؤيته؟ »

- « طبعًا.. الآن لو أحببت.. »

اعترض (آسر) وهو ينظر ل- (ممدوح): - « هل يبدو لك هذا وقته؟ »

تجاهله (خير الله) وهو يُعطي الأمر بتوقف السيارة: - « سأكمل علي الأقدام.. »

عصف التوتر ب- (آسر) وهو يهمس ل- (هشام): - « يبدو أنهم سيقومون بالتنفيذ! »

(هشام) ..

- « تنفيذ ماذا؟ »

- « لا أعرف.. لكنهم حتمًا سينفذون شيئًا ما! »

ابتسم (هشام) ولحق ب- (ممدوح) و(خير الله) في المقدمة..

- « المكان يبدو رائعًا.. »

بدت آثار أقدام حديثة فوق الرمال.. وفجأة لمحوا (طارق) وسط المياه يلوح في سعادة، هنا.. ضحك الجميع عدا (آسر) الذي لم يكن قد استوعب ما يحدث بعد.

ازداد ضحكهم ومرحهم.. وهم يهبطون التبة وينضمون للمياه، سألهم (طارق) باستمتاع: - « لماذا تأخرتم؟ »

هجم عليه (ماجد):

- « كل هذا من تدبيرك إذن؟ »

(ممدوح) وهو يخرج عن وقاره.. ويحاول إغراقه بالمياه: - « حرقت أعصابنا.. »

ضحك (طارق) وهو يحاول الهرب:

- « إنه أقل انتقام بعدما تركتموني أذهب وحيداً.. »

استمر المرح والاستمتاع بالمياه حتي حل الغروب سريعاً، اقترب (خير الله) يقول بأدب شديد: - « تأخر الوقت ولا بد من العودة.. »

كان (آسر) أول المُعترضين:

- « عشر دقائق أخرى.. »

استخدم (خير الله) نفس عبارة (آسر) التي قالها أثناء قدومهم: - « لقد قلت هذا مرتين حتي الآن.. »

انفجر الجميع في الضحك بطريقة هستيرية، حتي أضاف (طارق): - « هل نسيت أننا صائمون؟ »

خرجوا من الماء وشرعوا في ارتداء ملابسهم، أخذ (ممدوح) يجفف وجهه ويتأمل السكون الرهيب: - « لا أصدق أنني أرى هذا!! »

ابتسم (طارق) وراح يشاركه النظر للأفق: - « أعدك أن تأتي دائماً.. »

هنا فجأة.. دوت تلك الرصاصة تضرب الصخور، فزع الجميع و(طارق) يسأل: - « ما هذا؟ »

انضم لهم (خير الله) بسرعة يحتمي بأقرب صخرة: - « أولاد الشيخ (عرفان).. »

ثم سحب (خير الله) إبرة مسدسه باحتراف يستطرد: - « إنه المنافس الوحيد لنفوذ أبي هنا.. »

انهال الرصاص الطائش عليهم بغزارة..

- « وما شأننا بالأمر؟ »

أخذ (خير الله) يطلق الرصاص بدوره..

- « (عرفان) يعتبر هذا الشاطئ ملكًا له.. »
رن هاتف (خير الله) ففتح الخط بسرعة: - « أين أنت يا (هارون)؟ »
- « فوق التبة الغربية.. »
- « عظيم.. الضرب يأتي من هناك.. »
- « إنهم خمسة رجال.. لقد بلغتُ أبي.. والدعم في الطريق.. »
(خير الله):
- « أنا في منطقة مكشوفة.. لن أصمد طويلًا.. »
- « ليس أمامك سوي الاحتماء بالصخرة الكبيرة.. »
- « إنها بعيدة.. »
(هارون) بعد لحظة تفكير:
- « حسنا.. سأقوم بتغطيتك.. عندما تسمع صوت الرصاص تحرك.. »
أغلق (خير الله) الهاتف وهو يقول للجميع بتحفز: - « استعدوا.. سنتحرك معا بأقصى سرعة نحو تلك الصخرة هناك.. »
(آسر) وهو يولول كالنساء:
- « لماذا.. »
(ممدوح) ببرود لا يناسب الموقف:
- « لأننا لو بقينا هنا سنموت.. »
أطلق (هارون) الرصاص علي رجال (عرفان) بغزارة.. فصرخ (خير الله): - « الآن.. »
تحرك الجميع يهرول تحت غطاء من رصاصات (هارون)، حتي نجحوا في الوصول للصخرة الكبيرة، تسارعت الأنفاس قبل أن يسأل (هشام): - « أين (آسر)؟ »
بحثت عنه العيون سريعًا لم تجده. التفت الجميع نحو موقعهم الأول.. فوجدوه ما زال هناك مُنبطخًا علي بطنه.. ويلوح في رعب، لم يقاوم (طارق) الضحك قائلاً: - « ما العمل الآن؟.. هل سنتركه؟ »
(خير الله) بحزم:

- « المواقف قَدْرُ الرجال!.. وهو الذي اختار البقاء، ليس أمامنا سوي الانتظار.. »

هنا.. رن هاتف (طارق) الذي ابتسم في سخرية عندما رأى هوية المُتصل، كانت (دارين).. والرصاصات تعود تدوي فوق رؤوسهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



5 - الغامضة..

دون الخوض في تفاصيل كثيرة، انتهى موقف الشاطئ بسلام.. والذي لم يكن سوى عبارة عن تَهْوِيّش زائف من رجال (عرفان) كي لا يعودوا ثانية، لكن (أسر) لم يعد كسابق عهده، ظل صامتا لعدة أيام!.. فقد شهيته المفتوحة للطعام!.. حتي المدير الذي كان يهوي صّربه كل فتره صار يحترمه، لدرجة أنه أعطاه أجازة أسبوعًا!

فيما عدا هذا عادت الأيام مملة كسابق عهدها، لم يكسر حديثها سوى زيارات (هارون) كل فترة.. وثمار التين الصحراوي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أعرف أنني قد تأخرت عليك هذه المرة في بداية القصة التي تنتظرها، إنها عادة الثرثرة اللعينة!

بدأ الأمر صباح ذلك اليوم، عندما اتصل دكتور (الشيمنى) ب- (طارق) يُخبره أن طوارئ مستشفى (العلمين) تواجه مشكلة مؤقتة.. وأن علي البعض الانتقال إلي هناك فورًا لأسبوع علي الأقل.

بقي (ماجد) في (رأس الحكمة) وتحرك (طارق) و(ممدوح) إلي هناك..

كان (طارق) يأمل بأن تكون مهمة بسيطة يقضيها ويعود، لكن منذ الثانية الأولى عَرِفَ الفارق بين صحراء (رأس الحكمة) اللطيفة المُحتملة وصحراء (العلمين).

فهناك تأتيك الرمال والحرارة من كل اتجاه..

هنا لابد من تصادم يومى.. والسير وسط الدماء..

هنا يلفظ أولاد الأغنياء أنفاسهم الأخيرة كل يوم.. وهم في الطريق إلي (مارينا) يقودون سياراتهم بجنون، دون أن يكون لسطوة أموالهم تأثير!.. فأقصى ما قد يستطيعون الحصول عليه، وسط تلك الرمال بعض الأكسجين!.. رغم أن كل فرد منهم يستطيع توفير طائرة لنقل حالته، لكن دائمًا ما يفوت الوقت!

كانت بقعة جحيمية ملعونة تُغلّفها الرهبة..

فمنذ عهد قريب، حضر الثعلب الألماني (إرفين رومل) مُحاولًا دخول مصر، لكن المُشير البريطاني الحذر (برنارد مونتغمري)، أوقف تقدمه الكاسح عبر الفيلق الأفريقي في تلك البقعة.

ليس طبعًا لذكاء منه، بقدر ما كان نقص محروقات وإعدادات أصاب المتفوق (رومل) بسبب عناد قائده (هتلر).

هنا دارت معركة (العلمين) الثانية الحاسمة.. والتي سقط علي أثرها آلاف الجنود. تكاد تشعر بأرواحهم المعذبة، تنبعث من تلك المقابر المحيطة بالمكان!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

العشر الأواخر من رمضان، الحرارة الشديدة والاحتياج للماء أثناء النهار، جعل الجميع يُفضل العمل ليلاً، عدا فريق الطوارئ الذي كان لابد أن يكون مستعدًا طيلة الوقت.

العاشرة صباحًا، راح (طارق) يحلم بطبق القطايف.. صلاة القيام.. صوت ديناميت الأطفال في الشارع..

- « حادثة يا دكتور.. »

كالعادة يستيقظ مفزوعًا.. ليغادر الحلم الرائع بعيد المنال، الصراخ يعود من جديد: - « حادثة »

لا تنزعجوا.. إنه صوت المُمرض (فهيم) النادر الوجود!.. فالرجل إن لم يصرخ.. ويُولول.. ويلطم.. لا يشعر بالارتياح، أحيانًا قد تشاهده يضرب رأسه بالحائط من فرط الحماس!

حين تراه تشعر أنك تقف أمام أحد قيادات قبيلة (خُزاعة) قبل الإسلام!.. لما يتمتع به من جسد بالغ الطول.. ذقن طويلة.. نظرة حادة.. صوت غليظ، باختصار كان الرجل يحمل كل صفات الرعب الأصيلة، خاصة علي الأطفال!

نهض (طارق) دون أن يَسُب ويلعن كعادته، أتصور بسبب الاعتياد!.. ف- (فهيم) منذ قدومه صار كالقدر الذي لابد أن يُصيبك.. كالرمال التي تحيط بالمكان!

فرك عينيه.. هرش رأسه.. واكتفي بترديد:

- « حسبي الله ونعم الوكيل.. »

ثم هبط بصحبة (ممدوح) لغرفة الإنعاش:

- « من أين تأتي تلك الرائحة المقززة؟ »

(ممدوح) بتأفف:

- « لا أعرف! »

الرائحة تزداد قوة لدرجة الإصابة بالغثيان، احمرت عينا (طارق) بينما تحمل (ممدوح).

دلف الاثنان للغرفة.. ليعرفا مصدر الرائحة؟.. كان جسد امرأة في العقد الخامس من العمر، مُلقى فوق الطاولة ينتظرهم.

لم يكن لها ملامح حقيقية، بسبب ما كانت تحمله من إصابات!.. عيون متورمة.. فك وأسنان مُحطمان تمامًا.. جبهة ورأس تغمرهما الدماء.. أضف عدم قدرتها علي التنفس بانتظام.

كل هذا جعل منها، امرأة عجوز علي مشارف الموت..

اقترب (طارق) يكاد يفقد الوعي بسبب الرائحة، مُحاولًا السيطرة علي النزيف وتركيب أنبوبة حنجرية..

إنها الروتينيات السريعة المعتادة في تلك المواقف، لكن أمام تلك المرأة، بدت المهمة ثقيلة.. فالرائحة رهيبة فعلاً وغير مُحتملة!

غرقت عينا (طارق) بالدموع وبدأ يسعل بشدة وهو يقول بسخرية: - « إنها جثة مُحتملة! »

(ممدوح) من بعيد:

- « أشعر بالغثيان! »

- « أنا ألفظ أنفاسي الأخيرة.. »

هنا ظهر (فهيم) من العدم وألبسهم قناع واقى، أخيرًا أصبح لذلك الوغد فائدة غير إصابتهم بالفزع: - « شكرًا.. »

عدل (طارق) القناع بيد مُرتعشة، في اللحظة التي انضم فيها إليهم طبيب عناية مركزة، بدأ الثلاثة في التعامل مع الحالة لربع ساعة حتي سيطروا عليها..

- « مطلوب أشعة مقطعية فورًا علي الرأس.. »

كاد (فهيم) يُحرك الحالة.. لكن فجأة استوقفه (طارق):

- « انتظر؟.. هناك شيء يلتف حول العنق! »

تفحصها (فهيم):

- « ما هذا؟.. إنه خيط غليظ يا دكتور! »

- « غريبة!.. كيف لم تَره سوي الآن؟ »

شرع (طارق) في تخليص الحالة من ذلك الخيط..

- « إنه مفتاح.. تُعلقه في رقبتها.. »

هنا حدث شيء غير منطقي طبيًا أصاب الجميع بالرعب، تحركت يد العجوز تمسك يد (طارق) بقوة!

أصابته الرعدة وترك المفتاح، كان طبيب العناية الأكثر تماسكًا، عقد حاجبيه في عدم فهم قائلاً: - « المفروض الحالة في غيبوبة تامة!.. كيف حدث هذا؟ »
(طارق) بحيرة:

- « هذا لا يعني سوي أمر واحد!.. أنها تُمثل علينا! »

رفض طبيب العناية الفكرة:

- « مستحيل!.. سأترك المهنة إن كانت كذلك!.. درجة الوعي (٣) وهذا يعني أنها في غيبوبة تامة عميقة.. »

أيد (ممدوح) هذا الرأي.. فأصاب (طارق) الحيرة أكثر:

- « ما تبرير هذا إذا؟ »

مط طبيب العناية شفثيه:

- « لا أعرف!.. ربما (reflex) عادي! »

استجمع (طارق) شجاعته والتقط مشرطًا وشرع يقطع الخيط، تراجع الجميع عندما بدأت المرأة في المقاومة كأنك تأخذ روحها.

عاد ذراعها للحركة فجأة مُحاولَة منعه!.. لكن (طارق) كان أسرع في الحصول علي المفتاح.

نظر له الكل نظرة من ارتكب جُرم.. أو قام بفعل شيء ليس من حقه!

- « لماذا تنظرون لي هكذا؟.. كان الخيط سيخنقها! »

تجاوزوا الأمر.. وتحرك (فهيم) بالحالة لاستكمال فحوصاتها.

بعدها خرج (طارق) يبحث عن أي أحد يصلح أن يعطيه المفتاح، لم يجد سوي حشد من رجال الشرطة والمباحث.. سأله أحدهم: - « هل ستعيش؟ »

- « لا أعرف.. أقصد ما زال الوقت مبكرًا للإجابة عن هذا السؤال.. »

سمع صوتًا مجهولًا يأتي من الخلف يردد:

- « يارب نخلص منها؟! »

لم يهتم (طارق) لمعرفة صاحب العبارة، لكن شعر من المناخ العام، أنها شخصية مُثيرة للقلق وغير مرغوبة؟!.. وكان السؤال المنطقي حينها هو: - « مَنْ تلك المرأة؟! وما الذي يحدث؟ »

أجابه أحد أمناء الشرطة في همس:

- « نابشة قبور!.. قبضنا عليها أمس بعدما تم ضبط أجزاء بشرية في بيتها، لكن عند الفجر ضربت رأسها بحائط الزنزانة لتنتحرا! »

حاول (طارق) الخروج بقصة مترابطة من هذا الخُبال.. وعندما فشل أظهر المفتاح محاولاً إعطائه لأي أحد.. فبُهِت الجميع!.. وساد الصمت..

- « لن تتحمل مسؤولية شيء كهذا!.. أعطه لوكيل النيابة.. »

ثم انصرفوا جميعاً، شعر (طارق) أنه تورط!.. رفع المفتاح أمام عينيه وهو يقول لنفسه في سخرية: - « تستطيع أن ترميه وينتهي الأمر! »

وشرع في هذا فعلاً، لكن شيئاً ما بداخله جعله يتراجع؟!.. غسله بمحلول ملح.. ثم وضعه في كيس صغير نظيف، لتبدأ القصة؟!..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقف (طارق) عند غرفة جهاز الأشعة المقطعية ينتظر النتيجة، للوقوف على التشخيص النهائي لتلك العجوز، كان يشعر أنها ستعيش؛ فطالما الكل لا يرغبها، ستبقي حية لتقلب حياتهم إلى جحيم، تلك هي القاعدة دائماً منذ الأزل!

قال طبيب العناية في هدوء:

- « ستعيش.. »

وفعلاً.. استقرت الحالة ودخلت عناية الجراحة، لتنتهي القصة عند الجميع عدا (طارق)!.. الذي حاول جاهداً مُغادرة إحساسها لم يستطع؟!..

مارس كل ما يمكن أن يُلهيه مثل الجلوس مع (ممدوح).. الخروج مع (فهيم) لتناول لحم الرِيش بعد الإفطار.. قراءة روايات (تختخ) والمغامرون الخمسة، لكن ظل تفكيره عالِقاً بها!

هناك شيء ما غامض يتعلق بتلك المرأة لَوْنُ أفقه بالكآبة لن يغادره بسهولة!..

رن هاتف المستشفى الداخلي فجأة، رفع السماعة فأتاه صوت موظف كاتب الاستقبال يحمل شماتة غير مبررة وهو يقول: - « هناك وكيل نيابة يريد

مقابلتك! «

أجاب (طارق) بتفكير:

- « كُنت أنتظره.. »

يبدو أن الإجابة خَبت ظن صاحب الصوت فوضع السماعة بإحباط. هبط (طارق) ليستقبله وكيل نيابة صغير السن، يحمل ابتسامة مُشجعة: - « أهلاً دكتور (طارق).. »

صافحه وجلس يسترخى:

- « أهلاً بك.. »

الوكيل ببساطة:

- « عرفت أنك منتدب لفترة قصيرة، كيف تقضي أيامك هنا؟ »

ابتسم (طارق):

- « وسط الحوادث.. »

ضحك الوكيل:

- « حتمًا هذا أفضل من العيش وسط الرصاص والجثث.. »

شاركه (طارق) الضحك قائلاً:

- « الكل يعاني بدرجة ما.. »

هز الوكيل رأسه وهو يعود لجديته:

- « نعم.. معك حق.. »

ثم نظر في بعض الأوراق أمامه وهو يستطرد بشكل رسمي:

- « دكتور (طارق) أنا هنا اليوم لمعرفة رأيك الطبي فيما يتعلق بحادث أمس.. »

- « تقصد المرأة العجوز؟ »

- « نعم.. »

(طارق) بحذر..

- « قبل الإجابة.. هل من الممكن معرفة حكايتها باختصار؟ »

ابتسم الوكيل وأشار لكتابه بالتوقف:

- « لماذا؟ »

- « لأنه من المهم معرفة الخلفية النفسية للحالة، هذا يساعد كثيرًا في وضع طريقة العلاج.. »

ازدادت ابتسامة الوكيل.. ثم قال:

- « رغم أن نقطة الخلفية النفسية للحالة تلك غير مُقنعة، لكنني سأخبرك، الحكاية بدأت عصر أول أمس، اشتكي بعض أهالي حي (تل العيس) بالغرب من وجود بعض أجزاء بشرية محروقة في الشارع، تحركت علي الفور لموقع الحدث، لنجد فعلاً تلك الأجزاء البشرية.. »

- « كان الأمر يُسبب حالة من الرعب للأهالي.. فورًا بدأنا في جمع المعلومات.. حتي أخبرنا بعض الصغار بشأن امرأة تُخيفهم بمنزل قريب؟.. وصلنا للمنزل.. وبمجرد خروجها لاستقبالنا شعرْتُ بعدم طبيعتها، أيضًا كان يوجد امرأة أخرى بدت مُختلة تمامًا؟!.. تصرخ.. وُتهمهم بأشياء غير مفهومة، لكن الأمناء تركوها تنصرف لأن بعضهم يعرف عنها أنها بلهاء الحي! »

- « المهم دخلنا المنزل وشرعنا في تفتيشه، كان منزلًا قاحلاً.. مُقبصًا.. رائحته كريهة، مر التفتيش دون أن نجد شيئًا نستطيع صُنع قضية منه، لكن بمجرد أن شرعنا في تفتيش الحديقة الرملية، بدأت المرأة تصرخ؟!.. ضربها أحد الأمناء كي تصمت، لكنها لم تتوقف!.. هنا شعرت أن هناك شيئًا ما تريد إخفاءه.. »

- « تجمع الأهالي حول المنزل بسبب الصراخ.. واستمر البحث والحفر، حتي عثر الأمناء علي يد طفل صغير مدفونة بالرمال، سادت حالة من الرعب المكان.. وعُرفت لحظتها أن الموضوع أكبر مما أفعل.. »

- « طُلبت دعمًا.. وكلاب بوليسية مدربة.. وبعد عدة ساعات من الحفر والتنقيب، أخرجنا أجزاء بشرية مُتعددة لأشخاص مختلفين؟!.. كما أخرجنا أيضًا عدة مصاحف كانت بجوار الأجزاء! »

- « تم القبض علي المرأة.. وحبسها حبسًا انفراديًا، لحين عرضها علي النيابة في الصباح، لكن طيلة الليل كان الحارس الذي يقف خارج محبسها، يشتكي من سماع أصوات غريبة تأتي من الداخل، الفضول دفعه للنظر.. فشاهدها تضرب رأسها بالحائط عدة مرات حتي سقطت! »

ضاعت عينا (طارق) وهو يفكر:

- « حكاية مُقبضة! »

- « الآن أريد رأيك المهني، هل يستطيع إنسان طبيعي إحداث تلك الإصابات في جسده؟ »

شرّد (طارق) يفكر:

- « لا.. لأنه بعد أول خبطة سيتوقف، أما لو كان واقعًا تحت تأثير شيء ما؟!.. من الممكن أن يفعل! »

ضاقت عينا الوكيل:

- « شيء مثل ماذا؟ »

- « مخدرات.. كحول.. عامل نفسى.. أو تكون الحالة مَسْلوبة الإرادة! »

- « وأنت تميل إلي أي تبرير؟ »

- « الأخير؟! »

أشار الوكيل للكاتب بأن يتوقف مرة أخرى:

- « هذا كلام رسمي يُسجل يا دكتور.. »

اعتدل (طارق) يقول باهتمام:

- « أعرف.. لكن هناك علوم في الغرب الآن تتحدث بوضوح عن بعض الكيانات الفوقية.. التي تسكن الجسد البشري أو تستخدمه كوعاء؟!.. ولا تغادره إلا بعدما يتوفي صاحب الجسد! »

بُهِت الوكيل والكاتب.. و(طارق) يستطرد:

- « لعل أحد تلك الكيانات كان يحتل جسدها ويريد التحرر؟! »

قالها (طارق) بلهجة مَنْ يقول شيئًا عاديًا، بعدها صمت يتأملهم.. فتبادل الثلاثة النظرات المتوترة حتي ابتسم الوكيل: - « خيالك واسع جدًّا يا دكتور!.. هل أعتبر هذا هو ردك المهني علي السؤال؟ »

- « نعم.. »

كان الوكيل شخصًا محترمًا جدًّا، نهض يُصافح (طارق) ببساطة ويشكره علي تعاونه.. ثم أغلق التحقيق بالعبارة المقدسة: - « وأقفل المحضر في ساعته وتاريخه.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صعد (طارق) لغرفته يلوم نفسه بشدة؟.. فما هذا الخُبال الذي قاله في التحقيق، لقد شطح بخياله أكثر من اللازم!

يبدو أن فيلم السقوط ل- (Denzel Washington) ما زال عالقًا في ذاكرته؟!.. أو أنها تلك الروايات السخيفة التي يقرأها باستمرار!

هنا فجأة.. تذكر أمر المفتاح!.. أسرع يُحضره وحاول اللحاق بالوكيل، لكنه كان قد انصرف.. فتوقف أمام باب المستشفى يلهث ويتأمل المفتاح غريب الشكل: - « تري ما الذي وراءك؟!.. وماذا تفعل مع امرأة مُختلة عقلياً؟ »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



6 - أشياء لا تحدث..

انتهت مهمة (طارق) في (العلمين) وعاد الي (رأس الحكمة)، ورغم أن عيد الفطر كان علي الأبواب، وجد كل شيء كما هو!.. المدير عنده حالة وفاة، السكون والملل يقتل الجميع!.. حتي تلك الصخرة التي كان يعبث بها في حديقة المستشفى ما زالت حيث تركها.

وجد أيضًا (آسر) قد صار أكثر غطرسة!.. يبدو أن تجربة الموت التي عاشها، لم تُغير من تضاريسه النفسية للأفضل كما حاول أن يُظهر الأمر قبل سفره، كانت خطة رديئة لاستدراج عطف المدير كي يحصل علي إجازة.

كان المختلف فقط علي المكان هو (فهيم) الذي ارتبط ب- (طارق) بحماس غير مبرر.. وأضفي علي المستشفى مزيدًا من الفزع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ليلة سهر عادية في الطوارئ، جلس (طارق) يحتسي الشاي ويقرأ رواية للأمريكي (جون جريشام)، التمريض كان يلتهى في النسيمة ويستمتع بنسائم الليل، حتي توقفت فجأة عربة جيش قديمة وهبط منها أربعة.

العقيد (مراد) أحد قادة المنطقة الغربية معه اثنان من الجنود يحملون شخصًا ثالثًا يجر قدميه..

- « أين طبيب الطوارئ؟ »

كانت الساعة تُشير إلي الواحدة بعد منتصف الليل، استقبله (طارق) باهتمام: - « أنا معك.. »

ضاع مناخ الهدوء والعقيد ينظر لجنوده.. فوضعوا الجندي المصاب علي أقرب طاولة.. فحصه (طارق) سريعًا قبل أن يقول متسائلًا: - « رصاصة؟ »

نفي العقيد:

- « لا.. لغم.. »

كان الجرح ينزف بشدة، بدأ (طارق) يحاول السيطرة قائلًا: - « سنقوم بعمل أشعة.. ولو تبين وجود شظايا سيحتاج إلي جراحة صغيرة ومضادات حيوية مكثفة.. »

العقيد باهتمام:

- « افعل أي شيء.. المهم أن يتوقف ذلك النزيف.. »

شعر (طارق) بمسئولية مُضاعفة تجاه الجندي.. فالتفت للتمريض يقول
جدية: - « أريد تعليق محاليل فورًا.. ثم عمل أشعة عادية علي الساق.. »

ثم التفت ل- (فهيم) وهو يستطرد بنفس الجدية: - « اذهب لإيقاظ الدكتور
(هشام)، نريد مضادات حيوية من الصيدلية.. »

انطلق الجميع للعمل، عدا (فهيم) الذي همس في أذن (طارق): - « أنت
تعرف دكتور (هشام) جيدًا، يعشق النوم، ماذا لو رفض النزول؟ »

أجابه (طارق) مُحاولًا بث الحماس فيه كي يتحرك: - « فقط أخبره أن جُندي
جيش يحتاج إليه.. »

نعرف أن (فهيم) مُتحمس بطبعه!.. تري ماذا سيحدث لو أصابته موجة حماس
إضافية؟

- « أمرك يا دكتور.. »

انتفض (طارق) من صوته.. ورغم سوء الموقف ابتسم الجنود. نظر لهم
العقيد بصرامة.. فعادت الوجوه للتخشب حتي مرت دقائق.. وظهر (هشام)
يفتح عينيه بصعوبة ويقول بسخريّة: - « لقد اقشعر جسدي عندما سمعت
عبارة (فهيم)، ما هذه الوطنية التي »

وبتر عبارته عندما لمح (العقيد) بزيه الرسمي ينظر له في صرامة!.. فجأة
طار النوم من عينيه تمامًا.. وازدرد لعابه بصوت مسموع وهو يستطرد بصوت
قوى: - « ماذا تريد من الصيدلية.. »

قاوم (طارق) الضحك.. ثم أخذ يُخبره بما يريد، بعدها انصرف (هشام) برفقة
(فهيم) لإحضار الأدوية.. في اللحظة التي عاد فيها الجندي بعد عمل الأشعة،
تأملها (طارق) قائلاً: - « الحمد لله العظام سليمة تمامًا، لكن هناك خمس
شظايا تحت الجلد سأخرجها.. »

لم يضع وقتًا وبدأ العمل مباشرة..

استمر الأمر لساعة كاملة لم يتحرك خلالها العقيد أو الجنود خطوة واحدة،
استقام (طارق) في استهلاك يضمد الجرح..

- « سيحتاج إلي غيار يومي.. وراحة أسبوع علي الأقل.. »

قال العقيد (مراد):

- « ستتولي الوحدة بقية الأمر.. »

وأشار للجنود.. فحملوا المصاب للعربة الجيب.. بعدها صافح (طارق) بقوة وهو يستطرد: - « لن أنسي لك ما فعلته اليوم.. »

- « العفو.. هذا حقكم علينا.. »

تبادلوا أرقام الهاتف والأسماء.. وانتهى الموقف.. لكن فجأة اخترق الصمت ذلك النداء المتحمس: - « تحيا مصر.. »

كان صوت (فهيم)!.. ومن جديد كاد (طارق) أن يسقط من الفزع!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان (طارق) يلاحظ منذ قدومه ل- (رأس الحكمة) أن غالبية مرضي العظام الذين يتوافدون علي الطوارئ لا يأتون من أجل العلاج!.. بل من أجل عمل أشعه فقط.. ثم الانصراف بها لجهة ما؟!!

افترض (طارق) وجود أخصائي بالمدينة يجذب الحالات، حتي تردد أمامه يومًا ذلك الاسم.. (مُسْتُورَة)!.. وبعد بعض الأسئلة عرف أنها عجوز تقطن بيتًا منعزلًا، تستطيع قراءة الأشعة والتقارير الطبية..

إنها امرأة أخرى تلعب دور الحكيم وتستغل جهل الناس!..

بدأ الفضول يعبث ب- (طارق).. ومن قبله (آسر) طبعا، لمعرفة ماذا تفعل؟

خاصة عندما قال (آسر) يومًا لأحد المرضى: - « الإصابة لن يصلح معها التجبير، تحتاج إلي عملية.. »

رد الأعرابي المرافق بتعالي يختلط بالدهشة..

- « عملية!.. هنا لا تجري عمليات.. »

أضاف (آسر) بصبر نادرًا ما يصيبه:

- « الكسر خطير.. ولن تعود الذراع لطبيعتها إلا لو تم تركيب شريحة معدنية.. »

لوح الأعرابي بالأشعة في وجهه..

- « وَمَنْ طلب رأيك.. »

ثم نظر لرفيقه يستطرد بحسم:

- « هيا إلي (مستورة).. »

كان المصاب يتألم بشدة.. فتدخل (طارق) يقول: - « علي الأقل لابد من إعطائه بعض المسكنات، لحين الذهاب الي (مستورة)، هذا سيخفف الألم.. »

ثم كتب وصفة طبية سريعة، تناول الأعرابي منه الورقة باستخفاف مُهين..

- « أدوية!.. (مَسْتُورَة) ستعطينا أدوية! »

ورمي الورقة في الزباله. انفعل (آسر) وصعد للسكن يسب ويلعن الحظ الذي رمي به في تلك البقعة المُتخلفة..

بينما انتظر (طارق) حتي غادر الأعرابي والمصاب باب الطوارئ.. ثم نظر للمريض و ... انفجر الجميع في ضحك..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يبدو أنها ليلة القدر، استيقظ (ممدوح) الثالثة فجرا ليقيم الليل، خطواته الثقيلة تدوي في السكن، لكنه وجد المياه مقطوعة..

- « أستغفر الله العظيم.. »

عاد لغرفة النوم الكبيرة..

- « (طارق).. (طارق).. »

- « امممم.. »

- « استيقظ أرجوك.. »

دون أن يفتح عينيه..

- « حادثة؟.. (رزوقا) لم يطلق النفير! »

- « لا.. المياه مقطوعة.. ولا أعرف ماذا أفعل.. »

تمالك (طارق) أعصابه..

- « تستطيع أخذ قارورة المياه الخاصة بي.. »

رفع (ممدوح) القارورة من جوار السرير يتأملها..

- « ليس بها ماء كافى.. »

(طارق) بعصبية:

- « تصرف يا (ممدوح).. »

تراجع الأخير يقول بتوتر:

- « أنا لا أعرف شيئاً هنا.. وأريد الصلاة.. »

هنا شعر (طارق) بالخجل.. فنهض يجلس القرفصاء علي السرير..

- « كم الساعة الآن؟ »

- « الثالثة.. »

هرش (طارق) رأسه وهو يفكر:

- « ليس أمامنا سوي (رزوقا).. إنه يُجيد تلك الأمور.. »

حاول (طارق) الاتصال به لرفع مياه للخزان.. لكنه لم يُجب..

- « يبدو نائمًا.. »

قال (ممدوح) بثقة..

- « (رزوقا) لا ينام إلا بعد الفجر.. »

(طارق) باهتمام:

- « وكيف عرفت؟ »

همس (ممدوح) كأنه سيذيع سرًّا:

- « منذ أن أتيت للمستشفى.. وأنا أراه يتجول بكل ركن فيها ليلاً، إنه شخصية غامضة.. »

ابتسم (طارق) بسخرية:

- « الرجل معاون المستشفى ومن حقه التجول كيفما يشاء!.. دعك من تلك الأفكار البوليسية.. ماذا سنفعل في موضوع المياه؟ »

(ممدوح):

- « ليس أمامنا سوف رفع المياه بأنفسنا.. »

- « وكيف يتم هذا؟ »

(ممدوح) بنفس لهجة الإثارة البوليسية:

- « سرداب بئر المياه.. »

طار النوم من عيني (طارق) تمامًا.. وضحك وهو يقول باهتمام: - « وأين مكانه؟ »

- « خلف المستشفى، لكن (رزوقا) لا يسمح لأحد بالنزول.. »

- « لماذا.. »

- « يقول أن موتور الرفع خطر.. وأيضًا السرداب مسكون! »

ضحك (طارق) أكثر من جراء حديثه في الحديث..

- « غريبة!.. كيف لم أنتبه لكل هذا سوي الآن؟ »

قالها بلهجة أقرب للسخرية.. ثم نهض وسار معه بأروقة المستشفى شبه المظلمة قاصدين الفناء الخلفى..

حينئذ لمح (طارق) فجأة (رزوقا) من بعيد.. فأضاف بمرح: - « يبدو أن المغامرة ستنتهى.. »

وأخذ ينادي عليه لكنه لم يستجب.. واختفي في أول منعطف، تبادل الاثنان النظرات قبل أن يستطرد (طارق): - « أنا متأكد أنه سمعنى؟! »

أسرعا الخطي للحاق به.. ثم توقفوا..

- « أين ذهب؟ »

قال (ممدوح) وهو يمسح المكان بعينه:

- « ألم أخبرك أنه شخص غامض؟ »

لم يستطع (طارق) تقبل فكرة أن (رزوقا) الرجل المنطوي الحذر الذي يقدم الخدمات، يصير فجأة ذلك الغامض المثير للرعب؟!

وصل الاثنان للفناء الخلفى.. فأشار (ممدوح) لغطاء حديدي في مستوي الأرض..

- « هذا هو البئر.. »

دون تردد رفع (طارق) الغطاء بصعوبة.. ثم سلط عليه ضوء الهاتف..

- « مرعب فعلاً!.. ويستحق سمعته؟ »

- « ماذا سنفعل؟ »

- « سنهبط.. »

تراجع (ممدوح):

- « لا.. »

- « لماذا أتينا إذن؟ »

عاد (ممدوح) يسلط الضوء نحو البئر بتوتر..

- « يبدو عميقًا.. وقد يكون خطرًا! »

- « ابق أنت.. »

حاول (ممدوح) منعه، لكن (طارق) كان قد تعلق بدرجات السلم المعدني الذي يقود لأسفل.. وبدأ يهبط حتي لامست قدماه الأرض بتوجس. إنه عميق فعلاً.. والمسافة تتجاوز الستة أمتار!

ضاق صدره من قلة الأكسجين.. و تسارعت نبضات قلبه.. فأخرج الهاتف يستخدم نوره..

تأمل الجدران القاحلة المُقبضة.. والموتور الصَدئ الذي كان سيديره بسرعة ويصعد، لولا أن لمح ذلك الضوء الخافت الذي يتسرب من تحت باب صغير جانبي؟!!

دون وعى.. سار نحو الباب بحذر وفتحه ببطء.. فظهر أمامه نفق خائق ضيق، لكنه يكفي أن يسير فيه إنسان؟!!

- « ما هذا؟ »

دخل النفق وأخذ يتتبع الضوء البعيد حتي لمح (رزوقا) من ظهره يتحدث مع شبح أمامه..

- « لم نجد شيئاً! »

الشبح:

- « حاول مرة أخرى! »

- « أمرك.. متي ستأخذ البضاعة التي هنا؟ »

- « قريباً.. اطمئن لن يطول الأمر.. »

شعر (طارق) أنه يعرف صاحب ذلك الصوت الخافت، لكن ذاكرته لم تسعفه. كاد الحوار أن يصل لنهايته.. فتراجع (طارق) بسرعة.. ثم صعد السلم المعدني دون أن يُدير الموتور.. استقبله (ممدوح)..

- « ما الذي حدث؟.. ولماذا لم تُشغل الموتور؟ »

التقط (طارق) أنفاسه.. وهو يعيد الغطاء إلي وضع الإغلاق..

- « يحتاج إلي سولار.. تعالَ نبحث عن بعض المياه في المطبخ.. »

وانحصر كل هَم (طارق) في الابتعاد عن البئر بسرعة كي لا ينكشف أمره..

لم ينم (طارق) في تلك الليلة.. وظل يقف بجوار نافذة السكن يرقب البئر من بعيد حتي خرج (رزوقا)، لكن الرجل الآخر لم يخرج؟!

وكان هذا لا يعني سوي أمر من اثنين؟.. إما أنه يعيش في البئر، أو أن هناك مخرجًا ثانيًا للنفق!

ظهر نور الصباح ولم يتغير الوضع. صعد (طارق) لسطح المستشفى يسمح المنطقة بعينه، عله يفهم شيئًا.. فلم يجد سوي رمال الصحراء ومزارع التين البعيدة!

- « هل تبحث عن شيء؟ »

كان هذا صوت (رزوقا).. انتفض (طارق) قائلاً: - « أبدًا.. المياه مقطوعة منذ أمس.. فصعدت أفحص الخزان.. »

ربت (رزوقا) علي خزان المياه..

- « الخزان فارغ.. أنا آسف.. سأقوم برفع المياه حالًا.. »

وكاد أن يذهب.. لولا أن استوقفه (طارق) قائلاً وهو ينظر للأفق: - « ما هذا؟ »
تصلبت عين (رزوقا) نحو ما ينظر..

- « شجيرات تين جافة.. »

- « إنها ميتة.. »

- « لهذا يطلقون عليها (الحديقة السوداء)! »

(طارق) يحذر:

- « لماذا؟ »

- « تمتلأ بالكلاب والمهربين.. فلا أحد يذهب هناك ويعود؟!.. الجيش نفسه فشل في اقتحامها عدة مرات.. »

- « معقول.. »

- « نعم.. إنها أكبر من السيطرة.. »

ران الصمت بينهما للحظة، قبل أن تضيق عينا (طارق) متسائلًا: - « كم تبعد عن المستشفى؟ »

مط (رزوقا) شفثيه..

- « تسعة كيلو مترات تقريبًا.. »

- « غريبة أشعر أنها أقرب من هذا.. »

أضاف (رزوقا) بعمق يُفصح عن شخصية ليست سطحية: - « المسافة في الصحراء دائما خادعة يا دكتور.. لكن لماذا كل تلك الأسئلة؟.. هل تفكر في الذهاب؟ »

(طارق) بسخرية:

- « بعد كل ما قُلته.. طبعًا لا! »

ابتسم (رزوقا) وانصرف ليملأ الخزان، تاركًا عقل (طارق) يتخيل مكان المخرج الآخر للنفق؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



7 - البلدة..

عيد الفطر المبارك، عاد (طارق) للبلدة في زيارة حتمية سريعة. كانت فرصة للاسترخاء وأكل بعض الطعام الجيد.

لكنه طبعًا لم ينجُ من نقد أمه، أو عبارات أخته (ناهد) القاسية، التي تتهمه دائمًا بالتقصير.. وبأن (مصر) غيرته.

بعد اليوم الأول.. وبعدما يَمَل الجميع من نقده!.. ومحاولة تذكيره بدوره الغائب نحو العائلة، يدخل في مرحلة جديدة.

تبدأ الأم في سرد كل ما فاتته من أحداث هامة طيلة فترة غيابه، مواقف عمه الوغد (سليم) التي لا تنتهى!.. الجيران!.. أفعال أزواج بناتها الأندال.. والذين لم يكونوا يومًا يستحقونهن!

كان لابد أن يسمع وهو يجلس القرفصاء.. وإلا صار ابنًا عاقًا، يستحق الدخول في دائرة الأعداء!

في اليوم الثالث تهدأ الأم من تحقيق وجودها بالصراع معه!.. وتبحث عن شخص آخر لتمارس معه نفس الدور.

في لحظة هدوء بالدار، دلفت (ناهد) لغرفة (طارق) تبتسم وتضع الشاي، كان هذا مُثيرًا للقلق!.. ف- (ناهد) لا تبتسم أبدًا..

- « خير اللهم اجعله خير.. »

تحولت ابتسامة (ناهد) للشروود ثم الحزن.. وهو يستطرد: - « يبدو أنك تريدني شيئًا! »

لم تنكر (ناهد) ودخلت في الموضوع مباشرة: - « ابني (عمر).. »

- « ماذا أصابه؟ »

- « تغير فجأة؟.. صار لا يأكل.. أو يذهب للمسجد!.. طيلة الوقت شارد ويمسك ذلك الجهاز الذي أعطيته له.. »

مط (طارق) شفتيه قائلاً:

- « عادى!.. هذه سلوكيات الأطفال في هذه السن.. و(عمر) لم يعد صغيرًا! »

لم تقتنع (ناهد)..

- « لا.. هناك شيء مُتغير به؟!.. إنه ابني وأعرفه جيدًا.. »

- « ماذا تريدان ؟ »

وضعت يدها علي كتفه قائلة برفاء:

- « هو يُحبك وينهر دائماً بتصرفاتك.. تحدث معه.. ربما يخبرك بما فيه.. »

- « حاضر.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صحن البيت الكبير في القرية التي تريد أن تكون مدينة، يجلس (عمر) طالب الابتدائية، يسمع إحدى روائع الموسيقى الحديثة ويعبث في الفيس بوك..

- « آه يا دنيا.. آه يا دنيا.. »

انضم له (طارق)..

- « ماذا تسمع.. »

خلع (عمر) عنه سماعة الأذن..

- « (بوسى).. »

(طارق) بدهشة كوميدية..

- « زوجة (نور الشريف)!.. هل صارت تغني الآن ؟ »

(عمر) باستياء من جهله..

- « لا.. هذه واحدة أخرى! »

تنهد (طارق) وهو يضع يده علي كتفه متسائلاً: - « ماذا بك؟.. أشعر أنك مُتغير هذه الزيارة! »

أجابه (عمر) بذكاء:

- « أمي هي التي أرسلتك.. أليس كذلك ؟ »

- « لا طبعاً.. أنا الذي شعرت بالقلق.. »

كان (عمر) يصدقه دائماً، نظر في عينيه قائلاً بجدية: - « لو أخبرتك.. هل تعدني ألا تُخبر أحداً.. خاصة (ناهد).. »

ضحك (طارق):

- « أعدك.. »

تنهد (عمر) في شروء..

- « ماذا أقول لك؟!.. الدنيا سيئة معي هذه الأيام يا خالو! »
هرش (طارق) رأسه، مُحاولًا استيعاب العبارة.. ومُحاولًا إبداء الجدية..
- « الدنيا سيئة معك هذه الأيام.. كيف؟ »
عاد ينظر إليه في لحظة دُروة..
- « أنا أحب.. »
استمر (طارق) علي جديته..
- « عادى.. كلنا مررنا بتلك التجربة! »
- « المشكلة أنها أجمل بنت في المدرسة.. والكل ينظر إليها.. »
ثم لوح بيده يستطرد..
- « أيضًا أبوها غنى.. وأخاف أن يرفض العلاقة.. »
صار الأمر ممتعًا ل- (طارق)، وضع يده علي كتف (عمر) وهو يقول في تمادى: - « لا أريدك بتلك الانهزامية، الحب صراع.. ولا بد أن يكون عندك أمل.. »
- أماء (عمر) برأسه باقتناع.. ثم أضاف بقلق: - « معك حق.. لكن هناك مشكلة أخرى! »
- « إيه؟ »
- « كان لي تجارب سابقة هي تعرفها.. »
- « اممم.. هذا يعقد الأمر! »
- لحظة تفكير صامتة من الطرفين، قبل أن يردف (طارق): - « أخبرنى؟.. هل صارتها بحبك؟ »
- « لمحت لها من بعيد! »
- « وماذا كان رد الفعل؟ »
(عمر) بإحباط:
- « تريد التركيز في مستقبلها! »
- ضاقت عينا (طارق) لاعب دور خبير المشاعر..
- « إنها تضغط عليك كي تعترف بحبك.. »

- « تفكر؟ »

شعر (طارق) بالسعادة لأنه أخيرًا حصل علي اهتمامه..

- « طبعًا.. إنها سلوكيات كل الفتيات منذ الأزل! »

- « ماذا أفعل إذن؟ »

فكر (طارق):

- « هل معك صور لها؟ »

- « أكيد.. »

وأخذ يعبث في موقع الفيس بوك حتي جاءت صفحتها. تسمر (طارق) ينظر لجمالها الأنثوي المبكر، قبل أن يقول بجدية شديدة: - « أنت في ورطة كبيرة يا صديقي! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يكن هناك زيارة ثقيلة علي قلب (طارق)، مثل زيارة منزل عمه (سليم)، دلف للبيت الفاخر ينادي: - « يا أهل البيت.. »

لم يُجبه أحد لبرهة.. لكن قبل تكرار النداء، ظهرت زوجة عمه التي يلقبها بالعقربة منذ طفولته تقول: - « أهلاً وسهلاً.. تفضل.. كيف حالك يا دكتور؟ » صافحها..

- « بخير.. أين عمي؟ »

قادته لغرفة الضيوف وهي تردد:

- « سمعت أنك في البلدة منذ خمسة أيام، الآن تذكرت بيت عمك! »

دلف (طارق) للغرفة محاولاً أن يتسم..

- « آسف.. كنت مرهقاً جداً.. وأحتاج إلي الراحة.. »

قالت في تبرم:

- « كان الله في عونك، لكن (فارس) ابني كان يراك كل يوم في القهوة! »

حاول (طارق) تغيير مجري الحديث..

- « غريبة!.. ولماذا لم يحاول التحدث معي؟ »

قالت في تشنج:

- « (فارس) عزيز النفس.. ولا يريد أن يكون متطفلاً.. »
حافظ (طارق) علي ابتسامته المُفتعلة..
- « لا تقولي هذا!.. (فارس) أخي وسيظل.. أين عمى؟ »
تضايقت لأنه حرّمها من استمرار نقده..
- « عمك في الأرض.. وعلي وصول.. بعد إذنك الطعام علي النار.. »
كان (طارق) ينتظر تلك اللحظة..
- « تفضلي.. »
انتظر حتي ابتعدت بما فيه الكفاية.. ثم زفر بقوة..
- « الحمد لله.. »
هنا سمع صوتاً رقيقاً يضحك..
- « هل ضايقتك لتلك الدرجة؟ »
ابتسم (طارق) في إحراج.. وهو يستقبل الشخص الوحيد الذي يرتاح معه في تلك العائلة، ابنة عمه (مريم)..
- « أبداً.. أنا فقط لا أستطيع إرضاءها.. »
اقتربت تهمس ببساطة..
- « فعلاً هي بعض الوقت تكون غير مُحتملة.. »
- « تقصدين كل الوقت.. »
- ضحك الاثنان.. قبل أن يلاحظ رواية (النبع الجاف) التي تُخفيها في كتاب بيدها..
- « مازلتِ تقرأين سلسلة (زهور).. »
- « إنها تسليتي الوحيدة في هذا السجن.. »
- لم ينسق (طارق) لنبرة الحزن التي ظهرت في صوتها..
- « هذا حال كل طلاب الثانوية العامة منذ الأزل.. »
ثم ضحك يستطرد:
- « علي العموم لم يبق سوى عدة أشهر.. وستذهبن للجامعة.. »

كسا الحزن وجهها تمامًا..

- « أخي (فارس) يرفض، يريدني أن أكتفى.. وأنتظر الزواج.. »

قال (طارق) بجدية:

- « وما رأي أهلك؟ »

- « يميل إليه.. أنت تعرف أنه يحب (فارس) ولا يريد إغضابه.. »

ضاقت عينا (طارق) بحدة..

- « يبدو أن أخاك لن يتغير!.. ما زال يعاني من نفس العقدة القديمة، لا يريد أحدًا أن يتجاوزه في التعليم! »

(مريم) بانفعال:

- « مع أنه أخذ فرصته كاملة في الدراسة.. يريد أن يُحمل الجميع ثمن فشله.. »

هنا تسرب صوت (فارس) الغاضب المتحدي من علي بعد خطوات منهما يقول: - « أنا لم أفسل.. التعليم هو الذي فشل معي! »

قالت (مريم) بخوف:

- « (فارس).. »

وأسرعت تختفي بالمنزل..

- « حسابك معي فيما بعد.. »

التقت عينا (طارق) بابن عمه في تحدى.. وهو يقول: - « هي لم تفعل شيئًا يستحق ذلك التوعد.. »

تحرك (فارس) حوله يتأمل به برود..

- « إنه شأن داخلي.. وغير مسموح للغرباء بالتدخل.. »

هز (طارق) رأسه بأسف:

- « لن تتغير.. »

- « فعلاً.. لأنني الأفضل.. »

- « بعد إذنك.. »

وأسرع في مغادرة المنزل.. فقابل عمه (سليم)..

- « إيلي أين يا دكتور؟ »
استعاد (طارق) سيطرته علي أعصابه سريعًا..
- « أبدًا.. كنت أنتظرك للتحية.. »
- « فيك الخير دائمًا.. »
وصافحه بحرارة..
- « تعال.. تفضل.. الغذاء يتم إعداده.. »
رمى (طارق) (فارس) عن بعد بحدة.. ثم قال: - « وقت آخر يا عمى.. »
لاحظ (سليم) وجود توتر بينه وبين ابنه.. لذا لم يصمم علي بقاءه..
- « علي راحتك.. لكن لابد أن يكون هناك زيارة أخرى.. »
- « أكيد طبعًا يا عمى.. بعد إذنك.. »
وكاد أن ينصرف.. لكن (سليم) استوقفه..
- « آه.. بالمناسبة.. هل فكرت في موضوع الأرض؟ »
أجابه (طارق):
- « ليست للبيع يا عمى.. »
- « كل ما أريده فدان واحد فقط من العشرة.. »
- « اطمئن.. لو فكرنا في البيع يومًا، لن نبيع لأحد سواك.. »
وأخذ يبتعد وهو يردد بين جوانب نفسه:
- « أيها الوغد.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- « ماذا تفعل يا دكتور.. »
انتفض (طارق) يتأمل العم (عثمان) الذي رباه منذ الصغر وهو يضحك..
- « فزعتك.. »
ابتسم (طارق) قائلاً بعصية.. وهو يتذكر (فهيم)..
- « لا عليك.. فهذا سلوك الجميع معي هذه الأيام! »
عقد (عثمان) حاجبيه يفكر في العبارة..

- « يعني إيه؟ »

ضحك (طارق).. ثم قام بتغيير الموضوع..

- « لا تشغل عقلك.. المهم كيف حال صحتك؟ »

- « الحمد لله.. لا يتعبني فقط سوي أمك! »

ازدادت ضحكات (طارق) وهو يسأل:

- « خير.. ماذا فعلت معك؟ »

- « صعبة الإرضاء.. »

همس (طارق) كي لا تسمعه:

- « إنها دائماً هكذا!.. ما الجديد؟ »

ضحك (عثمان).. ثم توقف فجأة يقول بقلق:

- « هناك أمر آخر!.. أود أن أطلبه منك؟ »

- « إيه؟ »

(عثمان) بجدية..

- « أريدك أن تكشف علي الحمار.. فحالته هذه الأيام لا تعجبني.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شارفت زيارة البلدة علي الانتهاء.. و(عمر) في انتظار الخطة الجهنمية التي ستأتي بفتاته؟.. وتجعلها تتمني إرضاءه!

كان (طارق) يُسوف ويضيع الوقت، كي لا يتورط أكثر في الموضوع، الذي لا يبدو له حل سوي عامل الزمن.. فمن المؤكد أن (عمر) سيمل الأمر بعد قليل.. ويبدأ في البحث عن شيء آخر يُعذب به نفسه، إنها طبيعة تلك المرحلة العمرية!

تبقي مشكلة (ناهد).. ماذا سيقول لها؟

حتمًا لو عرفت تفاصيل تلك العلاقة.. ستُعلق (عمر) من رجليه ثلاثة أيام مع المواشي..

- « لم تُخبرني ماذا أفعل؟ »

كان هذا صوت (عمر) الذي دلف إلي الغرفة، ارتبك (طارق) يبحث عن إجابة..

- « لماذا أنت متعجل؟.. هذا قد يفسد الأمر.. »

أشار (عمر) لحقيبة سفره المفتوحة..

- « لأنك غداً ستسافر.. وتتركني وحيداً.. »

كان الصغير معه حق.. فغداً فعلاً تنتهي العطلة..

- « يبدو أنك تأخذ الموضوع بجدية.. »

- « نعم.. (سلمى) هي حبي الأول.. »

ضحك (طارق).. ثم اعتدل قائلاً باهتمام:

- « كيف عرفت؟.. ومن أدراك أنها لن تُشبه علاقاتك السابقة؟.. أليس من الممكن أن يكون كل هذا إحساس وقتي زائف.. وأنت تتلذذ فقط الشعور بالحب؟ »

رفض (عمر) الفكرة:

- « لا.. الأمر هذه المرة مختلف! »

- « كيف؟ »

ضاقت عينا (عمر) قائلاً بعمق:

- « أشعر أنني أمام الفتاة المثالية.. الغير قابلة للتعويض، الفتاة التي تخطفك وتجعلك تترفع عن الجميع!.. فلا تعود تري سواها؟! »

أصيب (طارق) بالصدمة لثوانى.. ثم سأله بكوميديّة: - « هل تشاهد مسلسلات تركي هذه الأيام؟ »

- « لماذا؟ »

- « لأنك صغير جداً علي ما تقول!.. أنت تُعيد تكرار عبارات سمعتها دون أن تشعر بمعناها! »

نهض (عمر) يقول بغضب:

- « كنت أعرف أنك غير جاد.. وسنصل لهذا المستوي من الحوار، بعد إذنك.. »

استوقفه (طارق) يضحك..

- « انتظر.. أنا لم أقصد شيئاً.. »

نظر (عمر) له يُحذره:

- « إياك تستهتر بمشاعري.. »

- « حاضر.. »

عاد للجلوس.. و(طارق) يستطرد:

- « طالما وصلت لهذا النضج، سأحدث معك بصراحة، أنت لن تستطيع الحفاظ علي هذا الحب.. حتي لو نجحت في الحصول عليه.. »

- « لماذا؟ »

- « لأنك ما زلت صغيرًا.. ودورك في تلك المرحلة ينحصر فقط في التعليم، كي تصبح يومًا رجلًا ناضجًا يملك القدرة علي العمل وتحمل المسؤولية.. »

- « وماذا أفعل مع تلك المشاعر المؤلمة.. »

- « ستنتهي مع الوقت.. »

(عمر) بعدم اقتناع..

- « لا.. لن أبعد عن (سلمى).. الحياة صراع.. وأنا قررت القتال حتي النهاية.. »

- « ماذا ستفعل؟ »

هنا اقتحم عليهم الغرفة ضيف غير مرغوب فيه يقول بتوعد: - « أنا الذي سيخبرك ماذا سيفعل؟ »

(طارق) بفرع:

- « (ناهد).. »

اقتربت تحمل أداة العقاب الكلاسيكية.. الشبشب.. وهي تردد بغضب: - « نعم يا دكتور، (ناهد) التي اعتمدت عليك في حل مشكلة ابنها، فوجدتك تقويه علي أفكاره، لقد سمعت كل شيء.. »

- « انتظري.. أنت تفهمين خطأ.. »

شمرت عن ذراعيها وهي تصرخ:

- « يتحب يا روح أمك؟ »

وأخذت تنهال عليه ضربًا.. حاول (طارق) الدفاع..

- « مَنْ (سلمى) هذه؟.. تكلم..؟ »

أجابها (عمر) تحت وطأة التعذيب:

- « ابنة (عباس البحيطى).. »

توقفت.. وعيناها تتسع..

- « صاحب شركة المقاولات؟ »

- « نعم.. »

ازداد الأمر سوءًا.. وأخذت تصرخ بأعلي صوت..

- « ألم تجد سواه لتورطنا معه؟ »

- « اهرب يا (عمر).. اهرب.. »

وفتح له (طارق) شباك الغرفة ليقفز منه..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



8 - صخرة يعقوب..

صخرة (يعقوب)، بقعة قاحلة مهجورة بغرب صحراء (رأس الحكمة)، صخور متفرقة غير مرتفعة، تنتهي بغابة شجيرات التين الجاف المعروفة باسم (الحديقة السوداء)، كل هذا أضفي علي المكان جو الخرائب والرهبة.

وقف (فايز) و(خير الله) و(هارون) ينظرون للشمس..

- « تأخروا.. »

- « لم تتجاوز الثانية بعد.. »

تحسس (خير الله) العصبي دائماً سلاحه..

- « أنا غير مطمئن.. لماذا هذا المكان بالذات؟ »

ران الصمت قبل أن يشير (فايز)..

- « ها هم.. »

تحفز الجميع ووفد من الرجال يقترب، كانوا ثلاثة سَلَفِي الهِيئة، تقدم زعيمهم..

- « يا هلا بأولاد الشيخ (موسى).. »

قال (خير الله) دون مقدمات:

- « أين المال؟ »

أشار الزعيم لأحد رجاله.. فتقدم يضع أمامهم حقيبة كبيرة ثم تراجع، انحنى (فايز) يفحصها قبل أن يقول: - « تمام.. »

أضاف الزعيم بابتسامة صفراء:

- « أين السلاح؟ »

(هارون):

- « كيف ستنقلونه؟ »

- « تلك مشكلتنا أيها الصغير.. »

ضاق (هارون) من الوصف وهو يُشير قائلاً:

- « خلف تلك الصخرة.. »

بقي (فايز) بجوار (خير الله) المتحضر، بينما تقدم (هارون) لإتمام التسليم..

- « السلاح.. »

بدأ الرجال في فتح الحقائب واختبار البضاعة بحماس، أثناء ذلك سأل (هارون) بسخرية: - « ماذا ستفعلون بكل تلك الكمية يا شيخ؟ »

انفعل أحدهم:

- « الجهاد.. »

رمقه الزعيم في غضب قبل أن يضيف..

- « السؤال ليس جزءًا من الصفقة أيها الصغير.. »

هنا.. شهر (هارون) خنجرًا حادًا فجأة ووضعه علي رقبته..

- « لو قتلها مرة أخرى سأقتلك.. »

تجمد الموقف.. وتحفز الجميع حتي ابتسم الزعيم..

- « حسنًا.. لقد أثبت أنك كبير.. »

ظل (هارون) علي عصبية لبرهة قبل أن يفلته..

- « هيا.. ارحل من هنا.. قبل أن أدفئك في تلك الأرض.. »

حملت العيون الكثير من عدم الرضا والغضب الداخلي، لكن في النهاية التقط الرجال الحقائب في صمت.. وكادت أن تتم الصفقة حتي ظهر ذلك المُلثم.

شاب قوي يحمل مدفع رشاش سريع الطلقات، فتح النار في غزارة.

تواري (هارون) بسرعة خلف الصخرة، بينما سقط الرجال الثلاثة صرعي في اللحظات الأولى.

حاول (خير الله) الدفاع لكن أصابته طلقة نافذة بأعلي الصدر أسقطته..

أسرع (فايز) يتواري هو الآخر خلف أقرب صخرة إليه والرصاص يلاحقه، حتي صمت المشهد..

تقدم المُلثم بهدوء مستفز يلتقط حقيبة المال ثم يُسرع في الابتعاد..

في تلك اللحظة ظهر بعض رجال (هارون) بالأفق يطلقون النار، كان الأخير قد أحضرهم معه وأبقاهم بعيدين للتدخل عند الغدر..

عند ظهور الرجال، بدأ (فايز) في مطاردة المُلثم الذي اختفي بين الصخور، في حين أسرع (هارون) نحو أخيه يحاول إسعافه، انضم له رجاله..

- « ما زال حيًّا.. السيارة بسرعة.. »

- « دقيقة وستكون هنا.. »

سأل كبيرهم..

- « مَنْ فعل بنا هذا.. »

كتم (هارون) دماء الجرح..

- « سنعرفه.. »

أضاف رجل آخر..

- « ليس بعيدًا عنا يا كبير.. »

صرخ فيهم (هارون)..

- « ليس هذا وقته.. أين السيارة؟ »

ظهرت عربة دفع رباعي حديثة بدون نمر تقتحم المكان، أسرعوا في نقل (خير الله) إليها، بعدها ركب (هارون) مكان السائق يقول بلهجة أمّرة..

- « أعيدوا السلاح للمخزن.. »

- « وماذا عن (فايز)؟ »

- « سيتدبر أمره.. »

وانطلق بالعربة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخذ المثلث يحاول الهرب من (فايز) لكن ثقل حقيبة المال كان يُعيقه، كل ما كان يفعله هو التوقف من حين لآخر وإطلاق النار، حتي نفذت ذخيرته.. حينئذ رمي المدفع وواصل الهرب..

شعر (فايز) بهذا.. فاستجمع بقايا إرادته.. وأخذت المطاردة إيقاعًا مختلفًا..

هبط المثلث نحو غابة أشجار التين السوداء وتوقف يلتقط أنفاسه، توقف (فايز) بدوره يسترق السمع..

لم يدم السكون طويلًا.. فقد ظهر كلب ضخم وهجم علي المثلث..

أحدث هذا ضجة مناسبة جعلت (فايز) يتقدم، حتي وصل إلي بقعة الصراع، وجد المثلث قد انتهى من قتل الكلب بسكين ضخم.. ويستدير إليه..

صار كل منهم في مواجهة الآخر..

التقت الأعين في تحدي شمله الخوف من ناحية المثلثم.. والحيرة من ناحية (فايز)..

فالأخير شعر منذ الثانية الأولي أنه يعرف هذا الشخص؟!

ألقي المثلثم حقيبة المال وهجم يحاول طعنه، تفادي (فايز) الضربة وهو يُشهر خنجرًا بدوره..

كان المثلثم أكثر رشاقة وطولاً.. لكن عامل الخوف الغير مبرر الذي اجتاحه، أضعف من قدراته..

استغل (فايز) هذا وهجم. تفادي المثلثم الضربة.. وصار كل منهم يمسك يد الآخر بقوة..

اقتربت الأعين أكثر.. وازدادت حيرة (فايز)..

إنه يعرف جيداً تلك العيون؟

هنا ظهر كلبان آخران هجما عليهما، تولي كل منهم نفسه.. وبعد صراع تخلص (فايز) من الكلب الذي هاجمه، بينما سقط المثلثم أرضاً والكلب يمسك ملابسه، أسرع (فايز) في الخلاص من الكلب الآخر.. ليعتلي هو المثلثم قائلاً بتحفز: - « من أنت؟ »

وأسرع في كشف وجهه..

تجمد الموقف.. وهو يستطرد بذهول:

- « (صقر).. أخى.. لماذا؟ »

فزع الأخير.. وطعنه طعنة سطحية ثم نهض يختفي بين الأشجار..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس الشيخ (موسى) خارج غرفة عمليات مستشفى (رأس الحكمة) في جمود ومن حوله التف عشرات الرجال..

- « تأخروا.. »

- « لا تستهين بالأمر.. إنها رصاصة بالصدر.. »

كان هذا حديث مدير المستشفى مع (هارون) الملطخ بدماء أخيه، بعدها عاد الصمت يغلف الأجواء حتي خرج (طارق) من غرفة العمليات وهو يردد: - « الحمد لله استقرت حالته.. »

ساد الارتياح الوجوه، لكن الشيخ حافظ علي غلظة ملامحه!.. تقدم (طارق) نحوه يسأل بحذر: - « هل ستتهم أحدًا؟ »

المدير في اعتراض:

- « ليس هذا الوقت المناسب ل.... »

قاطعه الشيخ بحزم:

- « لا.. لن أتهم أحدًا يا دكتور.. ولن يكون هناك تقرير طبي من الأساس! »

ارتبك (طارق):

- « لكن هذا غير قانوني يا شيخ (موسى).. »

- « هنا يسري قانون آخر غير الذي يحكمكم.. »

تأمل (طارق) كل الوجوه الصامته من حوله.. فلم يملك سوى أن يضيف باستسلام: - « أمرك يا شيخ.. »

وكاد أن ينصرف لولا أن دلف عليهم فجأة شخص يترنح غارقًا في دمائه. سادت الهمهمة.. والشيخ يردد: - « (فايز)؟ »

الأخير بأنفاس متلاحقة:

- « كيف حال (خير الله)؟ »

سنده الشيخ باهتمام:

- « بخير يا ولدي.. اطمئن.. »

- « الحمد لله.. »

ثم سقط تحت قدميه فاقدًا للوعي، أسرع (طارق) في فحصه قائلاً: - « الجرح سطحي.. لكن يبدو أنه نزف كثيرًا.. »

حملة التمريض لغرفة جانبية وبدأ العمل معه علي الفور، تأمله (هارون) بجمود لبرهة.. ثم قال بريئة: - « لقد دلف للحديقة السوداء!.. ولا أحد يعود من هناك إلا إذا كان »

قاطعه الشيخ بحزم:

- « اصمت.. »

جلس (عرفان) أخو الشيخ (موسى) يُطعم أسدًا صغيرًا، قبل أن يدلف إليه أحد الرجال ضخام الجثة، يهمس في أذنه بأمر ما..

صمت (عرفان) لحظة ثم قال بجمود يمثل جزءًا من شخصيته..

- « دعه يدخل.. »

- « مع رجاله.. »

- « لا.. هو فقط.. »

عاد (عرفان) يهتم بشبل الأسد حتي دخل شخص غاضب..

- « رجالي تم تصفيتهم.. »

- « أعرف.. »

- « كُنت أنت الوسيط في الصفقة، أريد السلاح والمال ودية الرجال.. وإلا؟ »

قاطعه (عرفان) بغضب:

- « وإلا ماذا؟ »

ران الصمت.. وهم يتبادلون نظرات الغضب الحادة.. قبل أن يستطرد (عرفان): - « ما حدث لم يكن للشيخ (موسى) دخل فيه.. »

الزعيم السلفي بسخرية عصبية:

- « هل تريدني أن أصدق هذا الكلام؟ »

- « نعم.. هناك طرف ثالث هو الذي صفي رجالك! »

- « ما دليلك؟ »

تحرك (عرفان) بالعرفة يفكر:

- « أحد أبناء الشيخ أصيب في صدره إصابة قاتلة، وهو الآن في المستشفى بين الحياة والموت.. أيضًا ابني (فايز).. »

أصيب السلفي بالارتباك:

- « إنها مؤامرة!.. مَنْ يملك الجرأة علي فعل هذا؟ »

وضع (عرفان) يده علي كتفه يضيف بثقة:

- « سنعرفه.. أعطني فقط بعض الوقت.. »

قال السلفي بلهجة أخيرة حاسمة:

- « لن يكون كثيرًا.. فالتنظيم إذا لم تصله إجابة قريبة، سيدفع الجميع الثمن.. »

لم يعلق (عرفان) وتركه يرحل، دلف بعدها رجله ضخم الجثة يردد: - « أوامرك؟ »

- « سننتظر.. لكن جهز الرجال.. فهناك حرب وشيكة! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عاد (فايز) للوعى.. فوجد العديد من العيون ترمقه بصمت. ربت الشيخ علي كتفه قائلاً بهدوء: - « حمدًا لله علي سلامتك.. »

- « الله يسلمك يا عمى.. كيف (خير الله) الآن؟ »

- « بخير.. »

أشار الشيخ للرجال بمغادرة الغرفة.. وبعدما فرغت نظر ل- (هارون) في حدة كي يصمت.. ثم اقترب يسأل (فايز): - « اخبرني يا ولدى؟.. ما الذي حدث؟ »

اعتدل (فايز) يجلس فألمه الجرح.. قائلاً:

- « لا أعرف!.. كان كل شيء يبدو طبيعيًا حتي ظهر ذلك الملتئم.. »

وأخذ يُخبره بتفاصيل سبق أن سمعها من (هارون)، حتي وصل لنقطة صراعه في الحديقة السوداء..

- « هل رأيت وجهه؟ »

صمت (فايز) لحظة ثم قال:

- « لا.. فقد حدث كل شيء سريعًا!.. ولولا الإصابة كُنت طارده.. »

وضع الشيخ يده علي كتفه قائلاً بثقة:

- « أعرف مدي إخلاصك يا ولدى.. »

ثم التقت أعينهم لثواني.. بعدها نهض (فايز) يتحامل علي ألمه.. فاستطرد الشيخ: - « إلي أين؟ »

أخذ (فايز) يبحث عن حذائه بتوتر.. وهو يقول:

- « المنزل.. أنا لا أرتاح هنا! »

حاول (هارون) منعه:

- « أنت لم تُكمل العلاج.. »

وضع (فايز) يده علي الجرح..

- « بسيطة.. »

ثم غادرهم علي عجل!.. وقف الشيخ يتأمله في صمت حتي ابتعد.. قبل أن يقول: - « إنه يُخفي شيئًا؟ »

- « نفس إحساسي يا أبى! »

- « أرسل مَنْ يراقبه.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عرف (فايز) منذ اللحظة الأولى أنه مُراقب!.. هل كان غير مُقنع في حديثه مع الشيخ لتلك الدرجة؟.. أم أن الأمر لا يتعدى الحذر العادى؟
لم يستطع الإجابة!.. أيضًا لم يستطع تقبل فكرة المراقبة.. فهذا سيحد من خطواته؟!

وهناك أمور لابد من حسمها بعيدًا عن الشيخ و(هارون)؟

بدأ يلوم نفسه علي عدم قول الحقيقة!.. لكن الحقيقة هذه المرة كانت ستقود لمزيد من إراقة الدماء..

ودماء مَنْ؟.. أخيه وأبيه؟!

لم يكن يريد أن يكون السبب في تفجير الموقف!.. أيضًا ما زال يحمل بقايا أمل في عودة الأمور لسابق عهدها!

باختصار إنه يراهن علي المجهول بتأجيل المواجهة..

نظر من النافذة يتأمل الرجل الذي أرسله الشيخ خلفه، شرد يفكر برهة ثم قرر ذلك، خرج بعصية يردد: - « ماذا تفعل هنا؟ »

كان الرجل مهذبًا.. قال:

- « أرسلني الشيخ لتأمينك.. »

(فايز) بنفس العصية:

- « أشكرك.. لقد وصلت المنزل كما ترى.. هل ستبيت هنا؟.. أم تفضل الدخول؟ »

التقت أعينهما في صمت، قبل أن يقول الرجل باحترام: - « احرص علي نفسك.. »

وابتعد في هدوء يتلعه ظلام الصحراء، انتظر (فايز) حتي اختفى.. ثم سارع نحو عربته الجيب..

إنه الوقت المناسب لما يريد أن يفعل؟

أخذ الاتجاه الآخر من الصحراء حتي وصل لمنزل كبير، انتشر من حوله العديد من الرجال المسلحين. عاد جرحه للنزيف.. وأحدهم يوقفه قائلاً: - « ماذا تريد؟ »

- « مُقابلة أبي.. »

الرجل بغلظة:

- « عندنا أوامر برفض ذلك.. »

ضغط (فايز) دواسة البنزين وأشاع الفوضى في المكان، حتي توقف أمام المنزل الذي شهد طفولته وشبابه المبكر، شهر البعض السلاح في وجهه..

- « انزل من السيارة.. »

قال (فايز) بأعلي صوت..

- « ليس قبل أن أقابل أبي.. »

تجمد الموقف حتي خرج زعيمهم ضخم الجثة، عندئذ انخفض السلاح وعاد كل منهم إلي موقعه، أشار له باحترام..

- « إنه ينتظرك.. »

تقدم (فايز) نحو المنزل في صلابة.. وقطرات الدماء المتساقطة منه ترسم طريقه، حتي وصل لردهة واسعة..

- « ماذا تريد؟ »

كان هذا صوت أبيه (عرفان) الحاد الغليظ..

- « أبي.. »

وأسرع يحاول تقبيل يده، تراجع (عرفان) في قسوة.. فأضاف (فايز) بعذاب: - « إلي متي سنظل هكذا؟ »

- « أنت من تركنا.. ما الذي أتى بك؟ »

تمالك (فايز) نفسه..

- « هذه المرة لن تمر بسلام.. »

- « عم تتحدث؟ »

- « ما حدث اليوم! »

صمت (عرفان) قبل أن يقول:

- « ليس لنا علاقة به.. »

استطرد (فايز).. وهو يضغط علي الجرح:

- « هذه المرة لن أصدقك.. لأنني رأيته بعيني! »

- « رأيت مَنْ؟ »

- « (صقر) أخی! »

ضاقت عينا (عرفان) بحيرة ثم عصبية..

- « (صقر)؟ »

- « نعم.. كان هو المُلثم الذي هاجمنا اليوم وأصابني في كتفى.. »

- « كاذب.. »

لاحقه (فايز)..

- « أنا لن أتوه عن أخی.. »

نظرة التفكير في عيني الأب أصابت (فايز) بالحيرة وجعلته يقول بحسم: - « يبدو أنك لا تعرف!.. لابد من إصلاح الأمر سريعًا يا أبي وعودتك للعائلة، الشيخ غاضب بشدة، ولن يُبقي علي شيء.. »

- « هذا ما أتيت من أجله إذن؟.. خوفك علي الشيخ وعلي سمعته! »

(فايز) بعذاب:

- « بل عليك يا أبي وعلي أخی.. بدليل أنني لم أخبر عمي بشيء.. »

ران الصمت للحظة قبل أن ينادي (عرفان) علي رجله بحدة: - « (جاسر)؟ »

دلف ضخم الجثة ينتظر أوامره..

- « صَمِّد جرحه وأوصله لبداية الطريق.. ثم نادي علي (صقر).. »

(فاين):

- « لكنني لم أنه كلامي.. »

- « قلت ما يكفي.. »

(جاسر):

- « (صقر) ليس في المنزل منذ أول أمس.. »

(عرفان) بغضب:

- « ابحث عنه في كل مكان.. »

- « أوامر.. »

ثم رافق (فاين) للخارج.. الذي أخذ يقول:

- « لم يفت الوقت بعد يا أبي.. صدقني.. لم يفت الوقت! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



9 - الغامض..

يوم حار جدًّا.. هذا دفع (آسر) في واحدة من المرات النادرة أن يفتح شباك الغرفة، لتدخل بعض النسائم، جلس (طارق) بالصالة أمام مائدة طعام المدير، يعبث في لابتوب صغير.

كان يشعر أن حكايته مع تلك البقعة من الصحراء ما زالت تحمل المزيد!.. فهناك تفاصيل كثيرة مرعبة تُحاصره، انضم له (ممدوح) يرتدي ملابسه الداخلية، جلس جواره بكسل..

- « كيف حال (خير الله)؟ »

- « خرج اليوم.. »

- « الحمد لله.. موته كان سيتسبب في المشاكل.. »

- « المشاكل ستحدث في كل الحالات! »

اعتدل (ممدوح) يسأل:

- « ماذا تعنى؟ »

- « الشيخ و(هارون) لديهم ميول انتقامية.. »

- « وما شأننا بالأمر.. »

- « الانتقام يعني المزيد من الدماء.. وبالتالي المزيد من العمل! »

(ممدوح) بضيق:

- « لقد بدأت أمل المنطقة وكل شيء، أشعر أنني هنا منذ سنين! »

- « أنا أيضًا أصبح لدي نفس الإحساس، علي العموم لم يعد يبقي سوي أسبوعين وينتهي التكليف.. »

انضم لهم (ماجد) يقول بإثارة:

- « هذا المناخ يحتاج إلي بحر.. ما رأيكم؟ »

- « في إيه؟ »

نظر (ماجد) في وجوههم ببلاهة وهو يردد:

- « الذهاب إلي الشاطئ؟ »

همس (ممدوح) بسخرية:

- « أعتقد أن (آسر) لم يتجاوز أزمته بعد.. »

أتاهم صوت الأخير يعترض:

- « تحدث عن نفسك، يكفي أنني الوحيد بينكم الذي يُجيد السباحة.. »

ضحكوا جميعًا.. قبل أن يضيف (طارق):

- « هذا يعني أنك ستتنضم لنا؟ »

- « طبعًا.. »

(ماجد) بمزيد من الإثارة:

- « موعدنا في الثالثة إذن.. »

استوقفه (طارق):

- « انتظر.. »

- « إيه؟.. هل ستعود في رأيك؟ »

نظر (طارق) في وجوههم وهو يسأل:

- « ألم يفكر أحدكم؟.. كيف سأطلب من (هارون) توصيلنا في ظروفهم تلك؟
«

ران عليهم الصمت.. قبل أن يضيف (ممدوح): - « معك حق.. سيبدو الأمر غير
لائق.. »

(ماجد):

- « نستطيع الذهاب بدونه.. »

- « كيف؟ »

- « سأحاول توفير سيارة (عبد الرازق).. »

ضحكوا جميعًا و(آسر) يقول:

- « في تلك الحالة أضمن لك ذهابًا بلا عودة.. »

أضاف (طارق):

- « هذا لو أعطاه لك أصلًا.. »

(ماجد) بتحدى.. وهو يداعبهم بحاجبيه:

- « سأقدم له عرضًا لا يمكن رفضه.. بعد إذنكم.. »

ضحكوا من جديد.. قبل أن يعود (طارق) ينظر للابتوب. لاحظ (ممدوح) اهتمامه فسأله: - « ما الذي يُشغلك لتلك الدرجة؟ »

- « أبدًا.. أتصفح الأخبار.. »

نظر (باسل) لشاشة الكمبيوتر المحمول.. فوجدها تمتلأ بالعديد من صور المفاتيح..

- « هل ما زال موضوع المفتاح يحتل تفكيرك؟ »

أخرج (طارق) مفتاح العجوز الغامضة من جيبه وهو يردد: - « نعم.. أشعر أن وراءه سر؟! »

ضحك (ممدوح) قائلاً.. وهو يلتقطه منه:

- « مشكلتك أن خيالك خصب! »

- « بحثت في (جوجل) عن كل أنواع المفاتيح.. فلم أجد ما يشبهه؟! »

عاد (ممدوح) يتأمله:

- « هو فعلاً مفتاح غريب!.. ويبدو حديثاً أيضاً! »

- « بالضبط.. هذا هو السبب الرئيسي الذي يجعلني أظن أن وراءه سرّاً ما!.. فماذا يفعل مفتاح كهذا مع امرأة المفروض أنها مخبولة.. »

هز (باسل) كتفيه يفكر:

- « ربما وجدته.. وتحفظ به ظناً منها أن له قيمة! »

رفض (طارق) الفكرة:

- « لا.. هذا غير منطقي!.. والدليل لهفتها عليه أثناء ما كنا نعالجها؟! »

ران عليهم الصمت والتفكير.. قبل أن يعود (باسل) يقترح: - « هل تعرف إنه يصلح مفتاح خزنة؟ »

راقت الفكرة ل- (طارق): - « خزنة؟ »

- « نعم.. أنا أذكر أنني رأيت مفتاحاً شبيهاً له في أحد الأفلام.. »

أسرع (طارق) يسأل العم (جوجل) وهو يقول بحماس: - « كيف لم أفكر في هذا الاحتمال؟ »

وغرق في مئات الاحتمالات الواردة من موقع البحث الإلكتروني، نهض (ممدوح) يتنسم قائلاً: - « سأرتاح في الغرفة حتي تنتهي من ذلك الخبال.. »

اكتفي (طارق) بإمالة شاردة من رأسه.. و(ممدوح) يتوقف وهو يستطرد: - « آه.. نسيت أن أخبرك.. لقد هربت تلك المرأة من مستشفى (العلمين)! »

توقف (طارق) عن البحث:

- « متى؟ »

- « تقريبًا بعد رحيلنا بيوم، يقول (فهيم) أنها اختفت فجأة من غرفتها رغم وجود تلك الحراسة المشددة.. »

لم يدر (طارق) لماذا شعر بالقلق، عله بسبب احتفاظه بشيء يخصها؟!.. أو تلك الغريزة التي يعاني منها منذ الصغر!.. الشعور بالخطر!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخذ (صقر) يلتهم تلك القطعة من اللحم في نهم شديد.. وبجواره وقفت ثلاث نساء صغيرات في السن يقمن علي خدمته، كان وسيماً لدرجة بالغة..

- « يبدو أن شهيتك مفتوحة.. »

توقف عن الأكل ونهض باحترام يقول:

- « أبى؟ »

انتظر (عرفان) حتي انصرفت النساء وخلت الغرفة.. ثم تحرك يتأمل المكان باشمئزاز..

- « منذ متي تأتي إلي هنا؟ »

مسح (صقر) فمه بيده.. وهو يتنسم بعصبية: - « كلما شعرت بالتعب أو الملل.. »

- « تهجر زوجتك وابنك من أجل هذا؟ »

ران الصمت علي الغرفة.. و(صقر) ينقل نظراته بين أبيه ووجه (جاسر) الصارم.. قبل أن يقول بتوتر: - « ماذا هناك يا أبى؟.. إنها ليست طبيعتك! »

تقدم نحوه (عرفان) يفحص ذراعه..

- « ما سبب هذه الإصابة؟ »

تجمد وجه (صقر) وهو يقول:

- « أشواك التين.. »
نظر في عينه يقول:
- « غريبة!.. تبدو أنياب كلب! »
سحب (صقر) ذراعه بعصبية.. ثم قال بحسم:
- « لقد أخبرك (فاين).. أليس كذلك؟ »
مسكه (عرفان) من شعره الناعم.. يردد:
- « الأمر صحيح إذن؟ »
- « نعم.. صحيح.. »
(عرفان) بغيظ:
- « لقد كنت الوسيط في هذه الصفقة!.. ألم تفكر في سمعتي؟ »
خلص (صقر) شعره من يده.. قائلاً بعصبية شديدة تختلط بالغل: - « لابد أن
يخسر (موسى) و(هارون) كل شيء! »
- « ليس بهذه الطريقة.. »
- « الوقت يمر.. وأنت ضعيف لا تفعل شيئاً.. »
صفعه (عرفان) علي وجهه بقوة.. فانتفض (صقر) ونظر ل- (جاسر) الذي
أشاح بوجهه نحو الأرض..
- « لقد فاض بي الكيل من تصرفاتك.. »
سالت دموع (صقر) يردد:
- « إنني صناعتك؟! »
وأسرع يغادر الغرفة وهو يستطرد بانفعال: - « لن تراني بعد اليوم.. »
حاول (جاسر) إيقافه.. فاستوقفه (عرفان): - « اتركه الآن.. »
- « والمال الذي معه؟ »
- « المال ليس هو المشكلة.. هيا بنا إلي هناك؟!.. إنه المكان الوحيد الآمن
الآن! »

أخذ (رزوقا) بجلبائه القصير الأبيض يقود سيارته النصف نقل ببطء، عائداً من شاطئ (رأس الحكمة) بعد أن قضى الجميع بعض الوقت.

نسائم الليل جعلت (فهيم) الجالس بالصندوق يقول: - « لقد بدأت أشعر بالبرد، هل هذه أقصى سرعة يا شيخ؟ »
أجاب (هشام):

- « نعم.. الحمد لله أنها تسير أصلاً.. »

(آسر) الجالس بجواره:

- « هذه السيارة لا تصلح سوي عربة كارو.. لماذا لا تأتي بحمار؟ »

ضحكوا بشدة.. فعبث (رزوقا) بلحيته القصيرة قائلاً: - « إنها تؤدي الغرض.. »

أخذ (طارق) يحفف شعره بمنشفة صغيرة وهو يقول: - « دعك منهم.. إنهم مثل القطط.. تأكل وتنكر! »

اكتفي (رزوقا) بالابتسام وتابع القيادة، حتي اقتربت السيارة من غابة شجيرات التين الجاف، كانت قريبة جداً من تلك الزاوية، نظر لها (طارق) برهبة صامتة.. فقال (رزوقا): - « إنها الحديقة السوداء التي تحدثنا عنها! »

- « تبدو مخيفة فعلاً.. »

- « إنها لعنة (رأس الحكمة)!.. والغريب في الأمر أن شجر التين رغم عدم إثماره، ينمو وتتسع رقعته؟!.. حتي خرجت الأمور عن السيطرة.. »

في تلك اللحظة رن هاتف (طارق)؟!.. كانت (دارين)!.. تجاهل الرد مما جعل (رزوقا) يقول: - « لماذا لا ترد؟!.. لو كُنت تحتاج خصوصية.. أستطيع إيقاف السيارة.. »

- « لا.. إنه غير مهم.. »

عاد الصمت يغلف السيارة حتي وصلوا إلي المستشفى، كان المدير في انتظارهم، عقد ذراعيه خلف ظهره وهو يقول بحدة: - « ما شاء الله.. تتركون المستشفى وتذهبون للبحر.. »

هنا ظهر (آسر) يقول بحدة مقابلة:

- « الطوارئ بها عدد كافٍ من الأطباء.. هل يسبب لك هذا مشكلة؟ »

تراجع المدير أمامه وهو يقول باهتزاز:

- « نعم.. كان المفروض إعلامي بالأمر.. »

ربت (آسر) علي كتفه يقول:

- « في المرة القادمة إن شاء الله.. »

كتم الأطباء ضحكهم.. وتسارعوا نحو من يدخل حمام السكن أولاً، طبعًا لم يجرؤ أحد علي فعلها قبل (آسر)، الذي احتل الحمام مبكرًا.

دلف (طارق) لغرفته يُعد بعض الملابس الجافة.. فشعر أن هناك مَنْ عبث في أغراضه، أسرع يتفحص الحقيبة.. الأدراج.. المال!

لقد حاول مَنْ قام بهذا إعادة الأمور إلي وضعها، لكن يبدو أنه غير محترف، أو كان علي عجل!

أيضًا من سوء حظهِ أن (طارق) من تلك النوعية الهستيرية التي تحفظ مكان أغراضها بعد ترتيبها.. فلو حرك أحدهم قلمًا فوق مكتبه.. سيكتشف الأمر؟!

لم يجد (طارق) شيئًا مفقودًا!.. وكان هذا لا يعني سوي أمر واحد؟.. وهو أن الزائر الغامض كان يبحث عن غرض معين؟

تري ما هذا الشيء؟.. والأهم مَنْ يملك الجرأة علي فعلها؟

طبعًا في الظروف العادية كان سيشك في (عبد الرازق)، لكن الأخير كان معه طيلة الوقت..

- « مَنْ إذن؟.. من؟ »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- « (ناجى).. (ناجى).. أين ذلك الغبى؟ »

كان هذا نداء المدير.. وهو يستدعي عامل النظافة، أجابه أحد شباب التمريض:- « كان هنا منذ دقائق.. »

- « ابحث عنه.. »

- « حاضر.. »

في تلك اللحظة كان (ناجى) يقول ل- (رزوقا)..

- « لم أجد شيئًا.. »

- « متأكد.. »

- « طبعًا.. إنها ليست أول مرة.. »

شرد (رزوقا) يفكر.. ثم قال:

- « اذهب أنت الآن.. »
هبط (ناجي) من السيارة النصف نقل عائداً للمستشفى.. فلمحه المدير وهو يردد: - « أين كنت؟ »
- « كنت أتخلص من القمامة.. »
تأمله (رزوقا) من بعيد حتي اختفي هو والمدير من أمامه.. ثم أخرج هاتفه..
- « لم نجد شيئاً.. »
أجابه الجانب الآخر بعصبية عبر الهاتف:
- « أنا متأكد أنه معه؟ »
- « كل أغراضه في السكن خالية!.. ربما يحمله معه طيلة الوقت.. »
صمت الجانب الآخر لحظة يفكر.. ثم قال بلهجة أمرة: - « ابحث عنه ثانية، أريد هذا المفتاح بأي ثمن.. مفهوم؟ »
- « حاضر.. لكن ما أهمية هذا المفتاح؟ »
الصوت بعصبية:
- « منذ متي وأنت تسأل تلك الأسئلة يا (عبد الرازق)؟ »
تراجعت لهجته للخضوع قائلاً:
- « أنا فقط أريد المساعدة.. »
- « عندما أريد مساعدتك سأطلبها.. »
وانتهى الاتصال!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



10 - هارون..

جانب مُتشابك لا تراه الشمس في قلب الحديقة السوداء، انتشر الكلاب والرجال حول ذلك الحصن لحراسته!.. الكل انصرف لفعل شيء ما.. إصلاح سيارة.. النوم.. شُرب الجعة.. تنظيف السلاح!

كان الجميع يسترخي ويمارس حياته الطبيعية، بعدما صنعوا من تلك البقعة عالمًا خاصًا يحمل قوانينهم؟!

وصل (عرفان) بصحبة مجموعة من رجاله.. فاستقبله أحدهم يردد باحترام: - « حمدًا الله علي السلامة.. »

تجاهل (عرفان) التحية وارتجل من السيارة يسأل: - « أين هي؟ »

- « بالداخل.. »

تقدم ليقابل العجوز الغامضة التي تعامل معها (طارق) بمستشفى العلمين، كان وجهها ما زال يحمل آثار الكدمات..

- « يبدو أنها كانت رحلة صعبة فعلاً؟! »

لم يظهر علي العجوز أي انفعال وهي تجلس علي عرش خشبي، لا يميز سوي زعماء العصابات.. قبل أن تقول بلهجة مخيفة: - « لقد تركتني وحيدة! »

ضاقت عينا (عرفان) وهو يُبرر موقفه:

- « إنه اختيارك!.. فأنت التي تفضلين العمل منفردة كل مرة، المهم أين السلاح؟ »

- « بخير.. التبادل لم يتم أصلًا! »

تنهد (عرفان) بارتياح.. ثم جلس يتناول بعض الخمر: - « طالما أن السلاح بخير.. فكل شيء يمكن تعويضه! »

نهضت من فوق العرش الخشبي.. تقول بنفس اللهجة المخيفة: - « لقد فقدتُ نُسختي من المفتاح! »

حصلت علي انتباه (عرفان).. الذي ترك كوب الخمر من يده وهو يسأل بقلق: - « ما الذي حدث؟ »

أجابت بغضب:

- « أخذه من رقبتى طبيب في مستشفى العلمين!.. لكن اطمئن؟.. لقد عرفت أنه لم يسلمه للنيابة!.. عرفت أيضًا أن الطبيب يعمل هنا في (رأس الحكمة).. »

(عرفان) بانزعاج:

- « وماذا تنتظرين؟ »

- « أن تهدأ الأجواء قليلًا.. الشرطة تبحث عني في كل مكان بالمحافظة! »

- « شيء ليس جديدًا؟ »

قالت باستمتاع غير مُبرر:

- « وكيل النيابة يتعامل مع الأمر بشكل شخصى! »

لامها (عرفان) بغضب:

- « لقد حذرتك من قبل كثيرًا، أنه لا داعي لتلك الأجزاء البشرية التي تصممين علي استخدامها؟! »

أجابته بجنون:

- « هذا ما يُخيف الناس!.. ويصنع سمعتنا! »

رغم قسوة قلب (عرفان)!.. إلا أنه شعر بالخوف من تلك المرأة!

- « ما اسم هذا الطبيب؟ »

- « طارق عبد الملك.. »

- « نستطيع خطفه في ساعة.. »

قالت بحزم:

- « لا.. لم يحن وقت هذا بعد؟.. أنا أضعه تحت رقابة دائمة.. »

(عرفان) بانفعال:

- « لكني أحتاج إلي المال.. »

- « لماذا؟ »

صمت.. فأردفت بحسم وهي تنظر لعينييه:

- « تريد تصحيح خطأ ابنك.. أليس كذلك؟ »

زوي (عرفان) ما بين حاجبيه:

- « كيف عرفت؟ »

برقت عينيها:

- « لدي خُدام كُثر في كل مكان! »

ران الصمت.. وكاد (عرفان) فعلاً أن يصدق أنها ساحرة ملعونة، قبل أن يقول:
- « الجهاديون لن يصبروا كثيراً! »

- « دعهم لى.. المهم الآن أن تحرص علي نسخة المفتاح الثانية التي معك.. »

- « إنه لا يفارقنى.. »

ووضع يده في جيبه الداخلى.. فاكتشف فجأة عدم وجوده؟!.. اتسعت عيناه
في رعب.. وشرد يفكر؟!

- « يبدو أنه ليس معك، لقد تجاوز ابنك (صقر) كل الحدود! »

قال (عرفان) في صدمة.. كأنه لا يريد تصديق ما تُلمح له: - « وما علاقته
بالأمر؟ »

قالت في تصعيد:

- « إنه الوحيد الذي يعرف بأمر هذا المفتاح!.. والوحيد الذي يملك طموح
إزاحة أبيه من الطريق! »

مسكها من ملابسها وهو يقول بانفعال:

- « ماذا تقولين؟ »

- « الحقيقة التي لا تريد تصديقها.. »

- « اصمتى.. وإياك أن تقتربي منه! »

تخلصت من يده.. وعادت تجلس فوق العرش الخشبي وهي تردد بثقة
غامضة: - « اطمئن.. لن أقترب.. هو الذي سيأتى؟! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استيقظ (طارق) مفزوعاً علي صوت الهاتف، كانت (دارين) طبعاً!.. جعل
الموبايل صامتاً ثم عاد يستلقى، مسح العرق وتأمل السقف..

- « ماذا بك؟ »

كان هذا سؤال (ماجد):

- « حلم مزعج! »

- « هكذا في النهار! »

لم يعلق (طارق) وظل شاردًا في سقف الغرفة. استطرد (ماجد): - « لماذا تبدو مختلفًا منذ عودتك من (العلمين)؟ »

- « كيف؟ »

حاول (ماجد) الشرح بطريقة سيئة وهو يعبث في هاتفه: - « مهموم!.. شارد!.. غير متحمس لأي شيء!.. كأنك صرت شخصًا آخر! »

لم يكن (طارق) قد أخبره بشيء!.. لم يكن أيضًا قد ربط بين محاولة تفتيش الغرفة والمفتاح الذي معه!

لم يصل خياله لهذا بعد؟!

لكن رغم هذا ظل (طارق) صامتًا، أملًا في عدم توسيع دائرة القلق.. وتجاوز الأمر في هدوء، خاصة أن نهاية الرحلة قد اقتربت. اعتدل يقول ببساطة: - « لا يوجد شيء.. فقط مللت من المكان! »

لم يقتنع (ماجد) وعاد يعبث في هاتفه، في حين نهض (طارق) يلتقط المنشفة من دولابه الصغير..

وللمرة الثانية شعر أن هناك مَنْ عبث في أغراضه؟!.. هذه المرة هو متأكد تمامًا.. فعاد يسأل (ماجد) محاولاً أن يبدو السؤال عاديًا: - « مَنْ دخل الغرفة اليوم؟ »

أجابه بسخرية دون أن يرفع وجهه عن الهاتف: - « لماذا.. هل سُرق منك شيء؟ »

(طارق) بغيط كوميدى:

- « أبدًا.. كل أغراضي سقطت.. يبدو أن أحدًا حرك الدولاب؟ »

- « ليس سوي (ناجى).. أتي للتنظيف في الصباح! »

شرد (طارق) قليلًا كأنه يستبعد الفكرة، بعدها التقط المنشفة.. ثم غسل وجهه واستعد للنزول..

مر علي الطوارئ. بدا كل شيء هادئًا وطبيعيًا، لكن بدلًا من أن يُكمل مروره مثلما يفعل كل يوم، وجد نفسه دون وعي يقصد تلك الغرفة الصغيرة بخلفية المستشفى!

غرفة عمال النظافة؟!

صوت هواء الصحراء.. والشمس.. وعدم وجود أحد، جعل (طارق) لا يفكر كثيرًا، دفع باب الغرفة ببطء وتلصص يُجيده منذ الصغر..

فوجد (ناجى) الذي يصفه الجميع بالغباء، يجلس أمام لابتوب حديث ويفتح بريده الإلكتروني!.. لم يمارس (طارق) الدهشة طويلًا: - « ناجى؟ »

انتفض الأخير يغلق اللابتوب بعنف قائلاً: - « دكتور (طارق)؟! »

ونهض يستطرد بارتباك ليس له ما يبرره:

- « خير يا دكتور؟.. هل تريد شيئًا؟ »

أطال (طارق) النظر في عينيه البائستين.. ثم قال بهدوء: - « لقد فقدت بعض الأوراق، أخشى أن تكون قد أخذتها بالخطأ في التنظيف! »

(ناجى) بثقة:

- « لم يكن هناك أي أوراق اليوم، لقد مسحت الغرفة فقط وأعدت ترتيبها.. »

دخل (طارق) المكان المُقفر يتأمله قائلاً: - « هل أنت واثق؟ »

بدا الانزعاج علي (ناجى) وعدم الترحيب.. قائلاً: - « نعم.. هل هناك شيء آخر؟ »

ابتسم (طارق).. وهو يجوب الغرفة ببساطة:

- « ما نوع هذا اللابتوب؟.. يبدو حديثًا! »

(ناجى) بارتباك:

- « إنه لا يخصنى.. فقد أعطاه لي أحد الزملاء لإصلاحه بالإسكندرية.. »

- « خير؟.. ماذا به؟.. أستطيع المساعدة لو أحببت.. »

ازداد انزعاج (ناجى).. وأسرع يُدخل الجهاز في حقيبته الصغيرة قائلاً: - « أشكرك.. »

ثم التقت العيون.. قبل أن يستطرد بطريقة غير لائقة: - « لابد أن أذهب.. هل أستطيع تقديم أي خدمة لحضرتك؟ »

خرج (طارق) بعد لحظة صمت..

- « تفضل.. »

وضع (ناجى) قفلًا كبيرًا علي الباب وانصرف علي الفور، دون عبارة تحية أو حتي ترحيب!

فشعر (طارق) بالإهانة والغضب.. لكن ليس من (ناجى)!.. بل من نفسه؟!..
فما الذي سيعود عليه من كشف أية حقيقة ما هنا؟

إنه ضيف ثقيل علي هذا العالم وسيرحل قريبًا، هنا.. وجد نفسه مدفوعًا بهذا
الإحساس يتصل بدكتور (الشيمى)..

- « كيف حالك؟ »

(طارق):

- « بخير.. الحمد لله، لكن الفريق بدأ يتعب من المكان.. »

(الشيمى) في تقدير..

- « أعرف أنني ضغطت عليكم كثيرًا، لكن الصيف اقترب من نهايته.. ولم يبقَ
سوي عدة أيام وينتهي تكليف الساحل.. »

- « أرجوكم طاقتي بدأت تنفذ، ولا أريد العمل وأنا عصبى.. »

صمت (الشيمى)..

- « ماذا بك؟.. أشعر أنك متغير! »

تردد (طارق).. هل يُخبره أم لا؟!.. لكنه في النهاية قال: - « أبدًا.. الناس هنا
فقط غير ودودة وغامضة! »

- « الغلظة من طبيعة البدو.. »

- « لم نعد نتحملهم.. »

(الشيمى) بحسم بعد لحظة تفكير:

- « حسنًا.. سأحاول إعداد فريق آخر علي نهاية الأسبوع، انتظر مني تليفونًا..
«

- « أشكرك.. »

انتهت المكالمة.. وشعر (طارق) بالارتياح.. فمن الآن ليس عليه سوي أن يعد
ساعاته الباقية دون احتكاك أو تدخل، بعدئذ ليذهب (عبد الرازق) و(ناجى)
والمنطقة كلها الي الجحيم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هرب ذلك العقرب الصغير من عربة دفع رباعي عصبية أتت مسرعة، توقفت
السيارة عند صخرة (يعقوب).. وارتجل منها (هارون) قاصدًا زاوية معينة..

- « أين أنت؟ »

ظهر آخر شخص قد تتوقعه؟.. (صقر)؟!.. والذي بمجرد أن لمح (هارون) اندفع يلكمه بشدة، تراجع (صقر) وهو يردد: - « لم أكن أقصد.. »

استمر (هارون) في ملاحقته.. و(صقر) يستطرد بحدة: - « إصابة (خير الله) حدثت رغماً عني.. »

لكمه (هارون) مرة أخرى فسقط أرضاً، بعدها شهر مسدسه في وجهه وهو يردد: - « تستحق تلك الرصاصة! »

لوح (صقر) بيديه:

- « صدقني.. هو الذي ظهر أمامي فجأة وبدأ التعامل.. »

تجمد الموقف وتلاحقت أنفاس (هارون):

- « لو كان قد حدث له شيء، لكنت الآن جثة هامة.. »

ونحي مسدسه.. فنهض (صقر) يزيل الرمال عن ملابسه وهو يقول: - « كل شيء كان سيسير كما خططنا له بالضبط، لولا اعتراض (خير الله) ومطاردة (فايز)! »

هدأت أنفاس (هارون) وهو يسأل:

- « ماذا حدث معه؟ »

ابتعد (صقر) خطوة للخلف.. قائلاً بتردد:

- « كشف وجهي.. »

زم (هارون) شفتيه في غيظ.. مقاوماً رغبته في الصراخ: - « كنت أشعر بهذا.. »

وأخذ يضرب الرمال بقدمه، انتظر (صقر) لحظة ثم أضاف: - « ليس هذا فقط؟.. لقد أخبر أبي! »

أخذ (هارون) نفساً عميقاً ونظر للسماء برهة، قبل أن يستعيد بعض هدوئه متسائلاً: - « ماذا فعل معك؟ »

مسح (صقر) بعض الدماء عن شفتيه:

- « لقد هربت منه.. »

بدأ (هارون) يفكر:

- « لقد ساءت الأمور، لكن بالنسبة لـ (عرفان) لن يفعل معك شيئاً لأنه يُحبك، أيضاً (فايز) يحلم بعودة العائلة.. ولن يجروا علي إخبار أبي!.. تبقي مشكلة الشيخ (موسى).. والذي لن يهدأ قبل معرفة مَنْ فعل هذا بـ (خير الله)؟ »

(صقر):

- « عليك إذن أن تكون قريباً منه هذه الأيام.. »

- « إنه يراقب (فايز) طيلة الوقت.. وأخشى أن يرتكب خطأ يقوده إلينا! »

- « والحل؟ »

(هارون) بعصبية:

- « أنت من وضعنا تحت رحمتهم أيها الغبي! »

فاض الكيل بـ (صقر).. فقال بعصبية شديدة: - « هل ستقضي النهار كله في النواح أم سنبحث عن حل؟ »

(هارون) بسخرية انفعالية:

- « هل لديك اقتراحات؟ »

صمت (صقر) لحظة.. ثم قال:

- « أري أنه ليس أمامنا الآن سوي تعجيل ساعة الصفر.. »

- « كيف؟ »

قال (صقر) بغرور.. وهو يُخرج من جيبه مفتاحاً يطابق تماماً المفتاح الذي مع (طارق): - « لم أستطع الهرب قبل سرقة! »

ابتسم (هارون) لأول مرة..

- « عظيم.. »

- « لم يبقَ سوي النسخة الأخرى! »

(هارون) بجشع:

- « اطمئن.. أعمل علي إعادتها! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وضعت زوجة (فايز) أمامه الشاي تردد:

- « أري الشيخ قادمًا بالأفق.. »

انتفض (فايز):

- « الشيخ (موسى)؟ »

- « نعم.. »

وضعت الشاي وانصرفت، بينما أخذ (فايز) يستعد لاستقباله..

- « تفضل يا شيخ.. »

صافحه قائلاً:

- « كيف حالك يا ولدي؟ »

قَبْل يده:

- « بخير في حمايتك.. »

أشار الشيخ لرجاله بالبقاء في الخارج.. ثم جلس يسأل: - « لماذا تبقي في المنزل طيلة الوقت ولا تخرج؟ »

جلس (فايز) علي مقربة منه..

- « بعد ما حدث؟.. لا أجد رغبة في التعامل مع أحدا! »

لوح الشيخ بيده.. قائلاً ببساطة:

- « وما الذي حدث؟.. إنها ليست أول مرة.. حياتنا تحمل الخطورة دائماً! »

- « ربما إصابة (خير الله) السبب!.. فأنا لم أستطع حمايته.. »

نظر الشيخ له يتفحصه.. ثم سأل مباشرة:

- « إصابة (خير الله)؟.. أم أنك تنزعج من مراقبتي لك؟ »

تأثر (فايز) لدرجة أن دمعت عيناه.. وهو يقول: - « أنت عمي وأبى.. لتفعل بي ما تشاء؟ »

نهض الشيخ يربت علي كتفه قائلاً:

- « أنا أعرفك جيداً يا ولدي.. ومراقبتي لك كانت بقصد الحماية، أخاف أن يصيبك مكروه.. »

نظر (فايز) في عينيه.. فاستشعر الصدق، مما جعل عينيه تمتلأ أكثر بالدموع..

- « أعرف يا شيخ.. »

احتضنه الشيخ يردف..

- « إذا كانت مراقبتي لك تضايقك لتلك الدرجة، سأرفعها عنك.. »

- « لا.. افعل ما تراه مناسبًا.. »

مسح (فايز) دموعه.. ثم أسرع يصب الشاي..

- « تفضل يا شيخ.. »

أخذه منه ورشف بعضه.. ثم سأل:

- « هل تعرف أين (هارون)؟ »

صب (فايز) لنفسه كوبًا آخر قائلاً:

- « لم أره منذ يومين.. »

- « ما يقلقني أن هاتفه مغلق طيلة الوقت! »

- « ربما يفعل شيئًا في منطقة ليس بها شبكة.. »

الشيخ بعدم اقتناع:

- « ليس ذلك من عاداته! »

شرد (فايز) يفكر بقلق!.. فنظر له الشيخ يسأل: - « إذا كنت تعرف شيئًا

أخبرني قبل فوات الأوان؟! »

وضع (فايز) كوب الشاي.. وأشاح بوجهه يفكر..

- « تكلم يا ولدي.. أنا أعرف أن هناك شيئًا ما تخفيه عني؟!.. وأعدك إذا كان

يمس أباك لن أقرب منه.. »

حسم (فايز) أمره قائلاً:

- « ليس أبي! »

- « مَنْ؟ »

- « (صقر).. »

وأخذ يروي له كل شيء..



11 - مستورة..

مرت بعض الأيام الهادئة.. واقترب اتصال دكتور (الشمى) كما وعد (طارق)، الكل استعد للرحيل بشكل غير مُعلن بمجرد وصول الفريق البديل، تجنبًا للمشاكل واعتراض المدير.

هذا ما أقنع به (طارق) الجميع كي يتحلوا بالصمت، خاصة الثرثار (ماجد).
خلال تلك المدة تعرض (طارق) للتفتيش يوميًا، لكنه لم يعد يهتم أو حتي يفكر، ماذا يريدون؟.. أو عن ماذا يبحثون؟.. فلو شاهدتهم حتي يعثون في أغراضه، سيتراجع بهدوء كي لا يسبب لهم إزعاجًا!

- « (مستورة) في المستشفى! »

كانت تلك صيحة (آسر) وهو يقتحم عليهم السكن، ضحك (ممدوح) و(طارق)..

- « وماذا تفعل هنا؟ »

- « يقولون أتت لتغسيل حالة وفاة نسائية.. »

- « إنها متعددة المواهب إذن! »

قال (ممدوح) موجهًا الحديث ل- (آسر): - « هل ستحاول العمل معها؟ »

انضم لهم (ماجد) يضحك بدوره:

- « المشكلة أنها قد لا توافق.. »

تركهم (آسر) يضحكون ثم قال بجدية.. وهو يستعد للنزول: - « الفضول يقتلني لرؤية تلك العالمة! »

oo oo oo oo oo

مرت ساعة علي هذا المشهد الأخير.. وهبط (طارق) لرؤية حالة بالطوارئ.. فوجد (آسر) قد أصابه الملل، اقترب منه يسأله بمرح: - « هل قابلتها؟ »

- « لا.. البعض يقول أنها لم تأت أصلًا! »

ضحك (طارق) قائلاً:

- « يبدو أنها إشاعة! »

زفر (آسر) بغیظ:

- « لا أعرف! »

ثم تركه وصعد للسكن، في اللحظة التي شاهد فيها (طارق) (عبد الرازق) يُحكم إغلاق كل شبابيك ونوافذ الدور الأرضي..

- « ماذا تفعل؟.. اليوم ما زال في أوله! »

استمر (عبد الرازق) في عمله وهو يقول: - « هناك نوة قادمة.. »

- « نوة؟.. في هذا الوقت من العام؟! »

- « نعم.. رياح شديدة ستصيب الساحل.. »

(طارق) باهتمام:

- « كيف عرفت؟ »

- « الأخبار.. »

تأمل (طارق) السماء الصافية بعدم اقتناع.. ثم قال: - « اليوم يبدو من أفضل الأيام! »

- « في كل الأحوال سنأخذ احتياطاتنا.. »

ابتعد (عبد الرازق).. فتذكر (طارق) أن يسأله: - « هل أتت (مستورة) للمستشفى اليوم؟ »

أجابه (عبد الرازق) دون توقف:

- « لا أعرف.. »

ابتسم (طارق).. وعاد للطوارئ يتابع حالته التي نزل من أجلها: - « أين المريض؟ »

أجابه (فهيم):

- « انصرف بعد أن أخذ محلول الملح الذي أمرت به.. »

- « وبقية العلاج؟ »

- « قال أنه تحسن ولا يحتاج للمزيد.. »

هز (طارق) رأسه بعدم رضا.. ثم قال وهو يتأمل الطوارئ: - « الحالات قليلة اليوم! »

(فهيم):

- « يبدو أن خبر العاصفة يُخيف الناس!.. فلا أحد يريد الخروج.. »

قالت ممرضة وهي تلكر (فهيم) في كتفه:

- « فرصة لنتراح قليلاً.. »

ابتسم (طارق) وتركهم يتعاركون بالألفاظ.. وذهب نحو الخارج يتفقد السماء من جديد، كانت صافية فعلاً ولا تُبشر بشيء!

استمر في السير حتي وصل لمقعد منعزل يفضل دائماً الجلوس عليه.

لم يدر كم من الوقت جلس هناك!.. لدرجة أنه لم يشعر بتلك العجوز التي جلست بجواره في صمت، كانت نفس المرأة التي قابلها بمستشفى (العلمين)!.. لكنه لم يلحظ ذلك!

نظر لها (طارق) بعدم اكتراث.. ثم عاد يسألها دون مُبرر: - « هل تعرفين (مستورة)؟ »

ضاقت عينا العجوز التي كانت تُخفي جانباً كبيراً من وجهها بطرحة سمراء قائلة: - « نعم.. ماذا تريد منها؟ »

حصلت علي اهتمامه.. فقال:

- « أبداً.. أريد فقط التعرف عليها.. والاستفادة من علمها.. »

اقتربت المرأة تقول في لحظة ذروة:

- « هي أيضاً تريد التعرف عليك! »

قال بسخرية متوترة:

- « حقاً؟.. وكيف عرفت؟ »

هنا كشفت عن وجهها تماماً وهي تردد:

- « أنا (مستورة)! »

ضاقت عينا (طارق) بدهشة، في اللحظة التي بدأ يشتم فيها تلك الرائحة الكريهة التي تميزها..

- « مستحيل!.. أنتِ »

ولم يُكمل باقي عبارته لأنه تلقى ضربة خلفية علي رأسه أفقدته الوعي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دلف (جاسر) بصحبة رجل غارق في عرقه يلهث..

- « لقد هجم الجهاديون علي منزلنا في المدينة وصفوا كل الرجال.. »

هب (عرفان) واقفًا.. يردد:

- « متي حدث هذا؟ »

ازدرد الرجل لعبه بصعوبة قائلاً:

- « منذ قليل.. لقد هربت منهم بمعجزة.. »

(عرفان) بتوتر:

- « هذا ما كنت أخاف منه! »

تدخل (جاسر):

- « هل نخرج لهم؟ »

- « لا.. هذا ما يريدونه.. »

- « والعمل؟ »

تدخل صوت (مستورة) الحاسم.. يقول من الخلف: - « سنرد طبعًا.. »

(عرفان) بعصبية:

- « كفي دماء.. »

ضحكت بهيستيرية..

- « يبدو أنك عجزت.. »

نظر لها في غضب قائلاً:

- « أنا وسط رجالي.. »

جلست فوق العرش تقول في تحدى:

- « وهل تسمي هؤلاء رجال؟ »

تحفز الجميع بغضب خاصة (جاسر).. فأشار لهم (عرفان) بالصمت..

- « هذه اللهجة لا تُبشر بخير؟ »

برقت عيناها قائلة:

- « الشرأتي معك، لقد تبع الجهاديون بأعداد كبيرة، أثر رجلك هذا حتي حدود الغابة.. »

لكزه (جاسر):

- « غبى.. »

أضافت بقسوة.. وهي تُشير لرجالها بتصفيته: - « وغير مستبعد أن يكون عميلاً لهم.. »

نظر لهم الرجل برعب وهو يصرخ:

- « لااااا.. »

لكن الرجل سقط قتيلًا بعد أن انطلقت نحو عدة رصاصات.. فانحني (عرفان) يسند رأسه في غضب حتي فارق الحياة..

- « لقد تجاوزت كل الحدود! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدأت رياح عاصفة شديدة تضرب شواطئ (رأس الحكمة)، في اللحظة التي توقفت فيها خمس عربات دفع رباعي علي حدود الحديقة السوداء، قال أحد الرجال: - « هنا تنتهي آثار الأقدام.. »

هبط زعيم الجبهة السلفية ينظر للأرض..

- « لقد دخل الحديقة.. »

ثم ضاقت عيناه وهو يستطرد بغضب:

- « كل الأشياء نفقدها علي حدود تلك الغابة الملعونة.. »

عاد الرجل يقول بحزم:

- « هل ندخل يا سيدى؟.. عددنا كبير هذه المرة.. »

الزعيم بحسم:

- « لا.. فكل مَنْ ذهب لم يعد.. »

صمت الرجل لحظة.. ثم سأل بغل:

- « والحل؟.. هل سنكتفى؟ »

وقف الزعيم يفكر وينظر للبحر..

- « ليس هذه المرة؟.. سنجعل الفئران هي التي تخرج إلينا؟! »

- « كيف؟ »

تجاهل السؤال.. وأمر الرجال بإحضار كل البنزين من السيارات؟.. ثم قال بحسم: - « اشعلوا النيران في تلك الأشجار.. »

- « لقد فعلنا هذا من قبل دون جدوى! »

ضاقت عينا الزعيم بغضب قائلاً:

- « الرياح هذه المرة هي التي ستتكفل بالأمر.. وستنتقم لإخواننا.. »

تحمس الجميع يردد:

- « الله أكبر.. الله أكبر.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رغم أن (طارق) كان مُعتادًا علي البقاء في مشرحة كلية الطب وحيدًا بين الجثث، إلا أنه شعر بالرعب بمجرد أن فتح عينيه عائدًا للواقع؟!

ردده واسعة.. طاولة تشريح حقيرة استقرت فوقها أدوات جراحية.. بقايا عظام بشرية.. وأخيرًا صديقه (ممدوح) مقيدًا بجواره!

كانت حقًا مفاجأة؟

- « (ممدوح).. (ممدوح).. »

لم يستجب.. حاول لكزه بقدمه.. وعاد يهمس: - « (ممدوح).. (ممدوح).. »

بدأ الأخير يحرك رأسه ويفتح عينيه، لم يكن يستطيع الرؤية جيدًا دون النظارة..

- « أين نحن؟ »

تأمل (طارق) المكان.. قائلاً بسخرية لا تتناسب مع الموقف: - « أعتقد أننا في وكر قاتل متسلسل.. »

ضاقت عينا (ممدوح) بصعوبة.. وهو يستعيد باقي وعيه..

- « آخر ما أذكره هو رؤيتي لك وهم يضعونك فوق تلك العربة، حاولت التدخل.. فلم أشعر بال دنیا.. »

(طارق) بمزيد من السخرية:

- « يعني كنت تحاول إنقاذى؟ »

ثم ضحك بهيستريا يستطرد..

- « مغفل.. »

هنا دخل اثنان من الثيران البشرية يضعون جثة الرجل، الذي تم قتله منذ قليل فوق الطاولة الحقيبة!.. فانتظر (طارق) حتي وضعوا الجثة ثم قال: - « مرحبًا أيها الوغد.. »

نظر له الرجل في غيظ.. وكاد أن يلكمه، لكن زميله منعه قائلاً باستمتاع: - «
لا.. الزعيمة تريد البضاعة سليمة.. »

توقفت يد الرجل في الهواء وهو يبتسم في شراسة..

- « معك حق.. لنلتقطهم أجزاء فيما بعد! »

وضحك الاثنان في تنمر وابتعدا، أضاف (طارق) بسخرية: - « لقد صرنا
بضاعة! »

(ممدوح) بخوف:

- « كيف تجد القدرة علي الضحك وسط موقف كهذا.. »

- « عندما أتعرض لما يفوق قدرتي علي التحمل، أصير هكذا!.. إنه جزء من
طبيعتي الهيستيرية كما قال (فرويد).. الإنكار! »

بدا علي (ممدوح) عدم الفهم وهو يسأل:

- « وهل هذا شيء جيد؟ »

ضحك (طارق):

- « لا أعرف.. لكن عندما ستعرفني أكثر ستفهم ذلك! »

(ممدوح) بدهشة:

- « تتحدث كما لو أن هناك مستقبلاً ما زال ينتظرنا! »

في تلك اللحظة دلفت العجوز أو (مستورة) تسير ببطء مخيف، حتي جلست
أمام الطاولة!.. لم تنظر إليهم وشرعت في تشريح الجثة!.. فتبادل (طارق)
(ممدوح) النظرات الصامتة حتي بدأت تتكلم وهي تعمل: - « أفضل دائماً هذا
الجزء!.. فتشريح الأوغاد مُتعتي الأولى! »

ثم شرعت في فصل الرأس تستطرد:

- « أيضاً الكلاب جائعة.. »

تناثر الدم علي وجهها ويدها العارية.. فهمس (طارق) بذهول: - « هذه المرأة
مسها الشيطان! »

أجابته (العجوز) بصوت عالي:

- « الشيطان برىء.. »

ونظرت لعينيه تستطرد بمنطق غير مفهوم: - « بالأمس كُنت أرقد أمامك علي طاولة تشبه تلك!.. وقريبًا سترقد أنت أمامي!.. إنها دورة الحياة العادلة! »

- « كُنت أحاول إنقاذك.. »

هنا تجرأ (ممدوح) علي السؤال قائلاً:

- « ماذا تفعلين؟ »

- « أحب تفكيك الجثث!.. تستطيع أن تعتبرها هواية! »

(طارق) بسخرية:

- « الهواية شيء جميل، لكن ما علاقتنا بالأمر؟.. وماذا نفعل هنا؟ »
قالت باهتمام:

- « لديك شيء يخصني؟ »

ضاقت عينا (طارق) وهو يفكر:

- « المفتاح؟ »

- « نعم.. »

استمر (طارق) يفكر وهو يتكلم:

- « أنت مَنْ كان يعبث في أغراضي إذن بحثًا عنه؟ »
حصل علي اهتمامها:

- « ليس هذا أسلوبى.. لكن كلامك يعني أن هناك مَنْ يهتم بشأن المفتاح غيرى! »

- « منافسون؟ »

تجاهلت السؤال.. قائلة بحدة:

- « أين المفتاح؟ »

- « ومن يضمن خروجي من هنا بعدما أعطيه لك؟ »

صمتت قبل أن تقول:

- « ليس هناك ضمانات.. »

وعادت تُكمل التشريح باستمتاع!.. حتي دلف عليها أحد الرجال يقول بقلق واضح: - « النيران تشتعل في الأشجار من ناحية الشمال.. »

نهضت تسير مع الرجل قائلة:

- « سأعود.. »

تأكد (ممدوح) من خروجها.. قبل أن يقول باهتمام: - « هل لاحظت طريقة مسكها لأدوات الجراحة؟ »

(طارق) بتفكير:

- « نعم.. إنها محترفة!.. مستحيل أن تكون جاهلة أو مشعوذة! »

- « مَنْ تلك المرأة؟ »



12 - الماضي..

تنتهي الأمور غالبا حيث بدأت..؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(مارجريت)..

دكتورة (مارجريت).. أخصائي علم أجنة، يونانية من أصل مصري، كانت الأسرة تعيش في الإسكندرية قبل الهجرة، هذا جعلها تتحدث العربية بطلاقة مُبكرة.

ماتت الجدة ثم الأبوان، لكن (مارجريت) لم تقطع يومًا عن زيارة مصر، كانت تأتي كل عام لقضاء شهر كامل.

لكن في تلك الزيارة - تحديدًا - قررت الذهاب إلي الغرب، سمعت عن شواطئ (مرسي مطروح) و (رأس الحكمة).

كان يومًا عاديًا مُمتعا، قضته مع أسرتها المكونة من الزوج (باتريك) والابن (جون) ذي التسع أعوام.. وأخيرًا المراهقة (لوسى) ذات السبعة عشر عامًا.

نزلت المياه تستمتع بالدفء لدرجة أنها لم تعرف كم غابت، حتي سمعت تلك الصرخة المكتومة تأتي من الشاطئ؟!!

حاولت استطلاع الأمر من موقعها، لكنها كانت بعيدة كيلومتر تقريبًا عن الشاطئ، عادت فلم تجد كل أسرتها، ظنت أنهم يُداعبونها..

تلك عادات ابنها (جون)..

أخذت تبحث عنهم بين الصخور بسعادة، حتي مر الوقت.. وبدأت تشعر بالقلق!

وللأسف لم يُبد للأولاد أو الزوج أثر بعد تلك اللحظة..

اشتعل الموقف؟.. وبدأت البحث، لدرجة أنها جلبت خبراء في التحري من اليونان لمسح المنطقة..

استمر هذا أكثر من اللازم، عام كامل هجرت فيه عالمها وباعت كل ممتلكاتها لكن دون فائدة؟

الغريب أن أحدًا لم يتصل لطلب فدية أو تفاوض!..

بَرر بعض الخبراء الأمر بأن الذي قام بذلك خاف من انكشافه؟.. خاصة بعد كل الضجيج الذي أحدثته (مارجريت).. فقرر الخلاص منهم في صمت.

كان هذا الاحتمال - رغم قسوته - الأقرب للقبول!..

توقف البحث.. وفقدت (مارجريت) جزءًا من عقلها، تحولت فجأة لتلك المرأة المُخيفة التي تريد الانتقام؟!..

وتحول أيضًا حبها لمصر إلي كُره شديد..

اختفت عامًا!.. قبل أن تظهر في صورة (مستورة)، العجوز البدوية التي تساعد الناس بأجر صغير!..

ذاع صيتها، ورويدًا.. رويدًا.. بدأت تملك الصحراء الغربية.. تلك البقعة الملعونة التي أخذت روحها.

المشكلة أنها كلما كانت تقضي علي مجرم.. وتتلذذ بتشريحه بيدها، يحل محله آخر وآخر!

المشكلة الأخرى أنها لم تستحم منذ ذلك اليوم!.. حرمت المياه علي جسدها، حتي صارت تحمل تلك الرائحة الغير محتملة!..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قبل أكثر من ثلاثين عامًا علي تلك الأحداث..

انطلقت سيارة الشاب (عرفان) قاصدًا حديقتهم لجمع ثمار التين، كان يغني ذلك اللحن البدوي الشهير.. وبجواره جلس أخوه الكبير (موسى) الذي قال: - « الجو صار حارًا جدًّا.. أسرع قليلًا.. »

تناول (عرفان) بعضًا من عرق البلح ثم قال مُنتشياً: - « لماذا العجلة.. أمامنا اليوم كله.. »

ثم انطلق يضحك دون مُبرر، نظر له (موسى) بعصبية.. ثم أخذ منه زجاجة العرق وألقاها من نافذة السيارة..

- « قلت لك مرارًا ألا تقود وأنت تتناول هذا السم.. »

اعترض (عرفان) وهو ينظر للزجاجة بلهفة..

- « لقد تناولت القليل فقط! »

(موسى) بحزم:

- « لا قليل ولا كثير.. ركز في الطريق.. »

- « حاضر.. »

ساد الصمت بعدها.. حتي وصل الاثنان للحديقة، هبط (موسى) بنشاط يلتقط حاوية فارغة من صندوق العربة.. لجمع الثمار..

- « هيا.. »

لم يهبط (عرفان) من السيارة.. وشرع يشعل سيجارة..

- « خمس دقائق.. وسألحق بك.. »

نظر له (موسى) في اعتراض.. ثم تحرك نحو الحديقة يؤدي عمله، بينما جلس (عرفان) يدخل السيارة ويستمتع بالنظر إلي البحر.

هنا.. ظهرت فجأة أمامه الفتاة المراهقة (لوسى) تغير ملابسها خلف تلك التبة القريبة وتستعد لنزول للبحر.

فرك (عرفان) عينيه كأنه لا يصدق ما يرى!.. فقد كانت (لوسى) تحمل قوامًا جميلًا، لم يعتد علي رؤيته!..

صارت (لوسى) بلباس البحر.. وتحولت لتلك الحورية التي يأملها أي رجل!

هنا دون وعي!.. وتحت تأثير انتشاء عرق البلح، رمي (عرفان) السيجارة.. وسار نحوها كأنه يريد التأكد مما تراه عيناه، تصلبت (لوسى) مكانها وهي تردد بقلق: - « من أنت؟.. وماذا تريد؟ »

لم يفهم (عرفان) منها حرفًا، اقترب أكثر وهو يردد بهستيرية: - « تعالي معي.. »

تراجعت (لوسى) للخلف.. محاولة تذكر اللغة العربية..

- « ماذا تريدي مني؟ »

ضحك (عرفان) علي لهجتها قائلاً:

- « عظيم.. تتحدثين العربية! »

ثم أمسك ذراعها، انتزعته منه وحاولت الهرب، لكن (عرفان) أجهز عليها يكتم أنفاسها.. و....

شرع في اغتصابها؟!..

ومرت دقائق قبل أن يتلقي (عرفان) تلك الضربة القاسية علي رأسه!.. تقلب علي الرمال فوجد أخاه (موسى) هو الذي يقف أمامه..

- « ماذا تفعل؟ »

زحف (عرفان) في رعب يبتعد.. بينما انحني (موسى) علي الفتاة يحاول إفاقتها، فتحت (لوسى) عينيها.. وانطلقت تلك الصرخة المكتومة التي سمعتها (مارجريت)، أثناء ما كانت في البحر..

تكهرب الموقف.. وتسارعت الأحداث..

نهض (عرفان) وصفعها يحاول إسكاتها، في اللحظة التي ظهر فيها الصغير (جون) ومن خلفه الأب..

- « ابنتى!.. ما الذي حدث؟ »

لم يفكر (عرفان) كثيرا.. فقد هجم عليهم ينتزع خنجره، تدخل (موسى) محاولاً إيقاف الأحداث.. لكن (عرفان) كان قد ركل (جون) في وجهه ففقد الوعي.. وطمعن الأب في صدره؟!

كل هذا حدث في أقل من عشرة ثوانى!.. وتفرشت الأرض بثلاثة جثث! تسارعت أنفاس (عرفان) وهو يتأمل ما فعل!.. في حين نظر (موسى) للبحر فلمح (مارجريت) تعوم نحو الشاطئ..

- « مصيبة.. ماذا سنفعل الآن؟ »

انهارت أعصاب (عرفان) وهو يقول:

- « ساعدني يا أخى.. أرجوك؟ »

صفعه (موسى) عدة صفعات علي وجهه..

- « لقد مللت من أفعالك! »

- « لم أكن أقصد ما حدث.. إنه عرق البلح اللعين.. أرجوك.. أرجوك.. »

نقل (موسى) عينيه بينه وبين البحر في تردد.. قبل أن يحسم أمره..

- « هيا بنا نهرب.. »

استوقفه (عرفان) في بكاء:

- « لقد شاهدوا وجهى.. وهؤلاء سياح.. سيطاردوننى.. »

عاد (موسى) يصفعه..

- « ألم تكن تعرف هذا؟ »

بكي (عرفان) وهو يقول:

- « أنا أخوك رغم كل شيء.. »

توتر (موسى):

- « سننقلهم للنصف نقل.. »

مسح (عرفان) دموعه.. وانطلق يحضر السيارة، بينما خلع (موسى) قميصه محاولاً إيقاف نزيف الأب (باتريك)؟!.. التقت أعينهما في حيرة لثنائى!.. ثم فاضت روحه!..

أتى (عرفان) بالسيارة وشرع في نقل الفتاة ثم الصغير، قال (موسى) بقسوة: - « صار لديك جريمة قتل! »

وأشار للأب.. ففهم (عرفان)، مما أصابه بمزيد من التوتر العصبى.. وهو يذهب لحمل (باتريك).. ويلقيه بجوار أبناءه!

بعدها انطلقت السيارة في جنون لتختفي من المنطقة، قبل خروج الأم (مارجريت) من المياه بلحظات..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مر علي تلك الأحداث أسبوع، لم ينم خلاله (عرفان) كثيرًا، كان كل ساعتين تقريباً يقدم الطعام والماء ل- (جون) و(لوسى)، التي لم تتوقف عن البكاء..

- « أين أبى وأمى؟! أريد الرحيل من هنا.. »

طبعًا لم يفهم (عرفان) لغتهم، لكنه كان يعرف ماذا يطلبون؟!.. ويتحاشي النظر لهم، دلف عليه (موسى) يردد بعصية: - « سوف يضع اسم عائلتنا! »

- « ماذا حدث؟ »

(موسى) بمزيد من العصية:

- « البلد كلها مقلوبة؟! الجيش والشرطة وخبراء أجانب يبحثون في كل مكان، لقد تطور الموضوع وذهب لمنطقة لن نقوي علي مواجهتها.. »

عض (عرفان) علي شفتيه..

- « والحل؟ »

- « لا أعرف.. ليس أمامنا سوي الانتظار قليلا.. عل الأمور قد تهدأ.. »

طبعًا لم يهدأ الحدث.. ومع كل يوم كان يمر، كانت أعصاب (عرفان) تتحطم أكثر، حتي أتى ذلك اليوم الذي قرر فيه ذلك؟

قتل الأبناء دون علم (موسى) ودفنهم مع أبيهم، بعدها حرق العشة.. وحاول العودة لحياته!..

لكن منذ ذلك اليوم، لم يعد (عرفان) ذلك الشخص القديم.. الساخر.. الذي
يضحك ويعبث طيلة الوقت!..

طمست الجريمة ملامحه.. وغيّرت تضاريسه النفسية نحو الأسوأ!
أيضًا أصبح خادمًا لأخيه (موسى) لسنوات!.. والذي صار يُحقره ويعاقبه طيلة
الوقت، حتي مل (عرفان) وقرر التمرد!..
في البداية كان الخلاف صغيرًا، لكن مع الوقت اتسعت الهوة بينهما، حتي
تحول كل منهما إلي عدو للآخر!..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



13 - النهاية..

اشتدت الرياح.. ووقف العقيد (ممدوح) يرمق الحديقة السوداء - التي صارت كتلة من جهنم - بمنظار رؤية بعيد.

سأله شخص آخر يقف بجواره أقل منه رتبة:

- « هل نتدخل؟ »

- « دع النار تلتهم الشرور.. »

في تلك اللحظة دلف جندي حراسة إلي مكتبه.. ليخبره أن هناك من يريد مقابلته، وضع منظار الرؤية فوق مكتبه وهو يسأل: - « مَنْ؟ »

أعطاه الجندي بطاقة تعارف صغيرة، قرأها العقيد قبل أن يقول باهتمام: - « دعه يدخل علي الفور.. »

استأذن الشخص الآخر في المغادرة..

- « بعد إذنك يا فندم.. »

سمح له بالانصراف.. بينما دلف للمكتب وكيل نيابة (العلمين)..

- « أهلا أهلا سيادة الوكيل.. منذ زمن لم نتقابل.. »

صافحه وهو يتسم بإرهاق:

- « نعم.. منذ قضية سلاح (سيوة).. »

أشار العقيد له بالجلوس.. ثم أمر حارسه بإحضار اثنين شاي ساخن، قبل أن يقول: - « لن تأتي في مناخ كهذا.. إلا لو كان هناك شيء خطير؟! »

صمت الوكيل لحظة يفكر.. ثم قال:

- « نعم.. شيء ربما يربط بين كل قضايا السلاح والمخدرات الأخيرة! »

استنكر العقيد برفض:

- « ما زلت تصمم علي نفس النظرية؟ »

أماء الوكيل برأسه في عناد:

- « نعم.. لأن كل العمليات المجهولة التي تم رصدها في آخر سنتين تحديداً، تحمل بصمة شخص واحد؟! »

- « تتحدث بلهجة واثقة هذه المرة! »

- « هناك خيوط جديدة ظهرت! »

جاء الشاى.. وأخذ الوكيل يروي له ما استجد من تفاصيل..

oo oo oo oo oo

- « أرسلته لوكيل النيابة (العلمين).. »

كانت تلك عبارة (طارق) وهو يحاول التخلص من قيوده، سأله (ممدوح) بدهشة: - « متي قمت بهذا؟.. ونحن لم نفترق أبدًا؟ »

(طارق):

- « هل تذكر عندما اقترحت علي عمل بحث علي جوجل؟ »

- « نعم.. »

- « بعد انصرافك، عرفت أنه مفتاح خزنة إلكترونية حديثة، من تلك النوعية الضخمة التي قد تشغل مساحة غرفة كاملة!.. لكنها لا تفتح سوى بوجود نسختين من المفتاح يستحيل تقليدهما!.. في نفس المساء، أرسلت المفتاح بالبريد السريع الدولي من الإسكندرية، أثناء ما كنت أنقل تلك الحالة لمستشفى الجامعة، باسم وكيل نيابة (العلمين).. »

شرد (ممدوح) يفكر:

- « هذا يبرر كل شيء إذن! »

(طارق) بسخرية:

- « نعم.. لكن بعد فوات الأوان كالعادة! »

(ممدوح) بيأس:

- « لم نعد نملك ما نتفاوض عليه!.. والأمل الوحيد الباقي هو أن يبحثوا عنا، لكن حتي لو فعلوا!.. لن يخطر ببالهم أننا هنا! »

بدأت قيود (طارق) المصنوعة من خوص النخيل تستجيب..

- « أشعر أننا لن نكون في حاجة لذلك! »

- « ماذا تعنى؟ »

ظهرت المعاناة علي وجه (طارق).. وهو يستحضر كامل طاقته لقطع الخوص..

- « سنعتمد علي أنفسنا؟! »
وتحررت يداه من القيد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- « الحديقة تشتعل.. »
ضاقت عينا الشيخ (موسى) وهو ينظر لرجله الذي نقل الخبر بصمت.. و(فايز)
يقول: - « الجهاديون؟ »
نهض الشيخ يفكر بصوت عالى:
- « لن يفعلوا ذلك؟.. إلا لو تأكدوا أن هدفهم بالداخل!.. ويريدون إجباره علي
الخروج! »
(فايز) بقلق:

- « تقصد أبى و(صقر)؟ »
- « وربما (هارون) أيضاً؟ »
عندئذ تحرك الشيخ بسرعة.. بعدما أمر بحشد كل رجاله!..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- « توقفوا.. »
استجاب الرجال لأمر (صقر).. وتوقفوا عن الحفر، اقترب (رزوقا) و(هارون)
ينظران لعمق حفرة رأسية في ذلك النفق..
- « متأكد.. »

(صقر) وهو يُشير لجذور شجرة تين حمراء قائلاً: - « نعم.. هذه الشجرة كنت
أرونها بنفسى بتلك الصبغة الحمراء لمعرفة الطريق.. »
ثم ابتعد عدة خطوات يردف:
- « المفروض الآن أن تقع الخزنة هنا.. تحتنا مباشرة! »
(هارون) بقلق..

- « ما زلنا لا نملك المفتاح الثانى! »
همس (صقر) وهو يسحب (هارون) بعيداً:
- « أخبرتك أن (مستورة) اختطفت (طارق) وزميله! »

- « وَمَنْ أدراك أن المفتاح معه؟ »

فاض الكيل ب- (صقر) قائلاً في غضب: - « في تلك الحالة أعدك بتفجير تلك الخزانة اللعينة، المهم أنني لن أرحل من هنا دون هذا المال؟ »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تحرر (طارق) و(ممدوح) من قيودهما..

- « ماذا سنفعل الآن؟ »

أسرع (طارق) يلتقط الموبايل الصغير وباقي أغراضه من ذلك الركن..

- « لا يوجد شبكة.. »

نظر (ممدوح) للهاتف وهو يردد..

- « طبعًا لا يوجد شبكة.. وإلا لما تركوه! »

تحرك (طارق) يحاول البحث عن إشارة في أي موقع، لكن ظل ذلك دون فائدة، وضع الهاتف في جيبه وبدأ يفتش في محتويات الغرفة..

- « عم تبحث؟ »

- « لا أعرف! »

ابتسم (ممدوح) رغمًا عنه.. وتأمل الجثة بأسف، قبل أن يهمس (طارق) بدهشة: - « انظر؟ »

ترك (باسل) الجثة.. وأسرع ينظر نحو ما يُشير (طارق)، كانت ورقة صفراء من صحيفة مصرية قديمة تحت لوح من الزجاج؟!..

أخذ (طارق) يقرأ ما جاء بها بصعوبة، عن اختفاء أسرة (مارجريت) دون أثر علي شاطئ (رأس الحكمة)؟!..

- « ماذا يعني هذا؟ »

- « لا أعرف!.. لكن لماذا تحتفظ تلك المرأة بخبر كهذا؟ »

تفحص (طارق) صور وجوه الأسرة الباهتة بالخبر..

- « هذه الصورة تُشبه (مستورة)؟ »

اقترب (باسل) يتأملها بدهشة، قبل أن يقول: - « خيالك واسع!.. أنا لا أجد أي تشابه بينهم! »

ضاقت عينا (طارق) وهو يشير للصورة:

- « الملامح فعلا قد تبدو بعيدة، لكنك لو نظرت للشيء الوحيد الذي لا يتغير أبدا بفعل الزمن؟.. ستعرف أنها هي؟ »

(ممدوح) في بلاهة:

- « وما هو؟ »

- « العيان.. كلاهما لنفس الشخص! »

عاد (ممدوح) يحاول النظر دون اقتناع قائلاً: - « دعنا نفترض أن كلامك صحيح، بم سيفيد هذا في رحلة هروبنا؟ »

شرد (طارق) يتمتم كأنه لم يسمع عبارته:

- « (مارجريت) تحولت من طيبة إلي شيطانة بسبب ذلك الحادث! »

- « يا (شارلوك هولمز).. كيف سنخرج من هنا؟ »

ترك (طارق) استنتاجاته.. وعاد لواقعه يتلفت حوله وهو يردد: - « حتمًا سنجد طريقة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدأ القلق ينتشر في رجال (مارجريت) مع شعورهم باقتراب النيران..

- « ماذا سنفعل؟ »

أضاف أحدهم في توتر:

- « كل مَنْ يخرج يقتله الجهاديون! »

قال آخر:

- « نهرب من الجنوب.. »

- « الجهاديون يحاصرون كل المخارج.. »

أناهم صوت (مارجريت) يقول بشراسة:

- « ليس من سبيل لكم سوي المواجهة.. »

أيد الغالبية هذا الرأي عدا (عرفان) الذي قال: - « ومن سيبقي لتأمين المقر؟ »

(مارجريت):

- « المقر ليس في حاجة إلي تأمين.. يكفي أنني هنا! »

نظر لها (عرفان) في شك.. وهي تستطرد صارخة: - « هيا يا رجال.. »
تحمس الجميع بما فيهم غالبية رجال (عرفان).. وانطلقوا نحو الحدود الجنوبية، لمواجهة الجهاديين، في حين عادت العجوز للمبنى وهي تردد: - « تعالي معي.. »

أشار (عرفان) لما بقي من رجاله بالانتظار.. ثم تبعها بحذر..
- « إلي أين؟ »

تجاهلت سؤاله قائلة:

- « في كل الحالات سنرحل من هنا بعدما انكشف أمرنا! »
انتبه (عرفان) الآن فقط لتلك الحقيقة..

- « والمال؟.. كيف سننقل مليار دولار من الماس الخام؟ »
قالت بشراسة:

- « لدينا مشكلة أكبر؟.. كيف سنفتح الخزنة أصلاً؟ »

وعادت لغرفة التشريح لتكتشف اختفاء (طارق) و (ممدوح)، انزعجت وانطلقت تنظر من تلك النافذة المفتوحة وهي تردد: - « لقد هربا.. »
تأمل (عرفان) الغرفة التي كان يدخلها لأول مرة!.. يقول بغثيان: - « ما هذا المكان؟ »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- « مشرحة للموتى! »

كانت تلك عبارة الشيخ (موسى)، ردًّا منه علي سؤال أخيه (عرفان).. وهو يقتحم عليهم الغرفة بصحبة رجاله!.. تمتم الأخير بدهشة: - « (موسى)؟.. كيف وصلت إلي هنا؟ »

تسمرت العجوز تنظر للمدافع الرشاشة المصوبة إليها.. والشيخ يقترب أكثر..
- « يبدو أنك نسيت أننا كنا نلعب هنا في الصغرا! »

العجوز:

- « ماذا تريد؟ »

تأملها.. قبل أن يسأل أخيه:

- « مَنْ هذه؟ »

- « (مستورة) .. »

عاد ينظر لعينيها قائلاً:

- « أشعر أنني رأيتك من قبل؟! »

أجابته في شراسة:

- « أكيد في كوابيسك .. »

(عرفان):

- « ارحل يا (موسى) .. (صقر) و(هارون) ليسا هنا .. »

- « أعرف .. لكنهما حتماً في الطريق! .. يبدو أن الأبناء قد صار لهم طموحهم الخاص، بعد أن مَلَا مِنْ أفعالنا؟ »

(عرفان) بغضب:

- « أنت السبب في كل ما وصلنا إليه .. »

(موسى) في حزم:

- « أنا أم استهتارك؟ »

- « بل أنت .. بإصرارك الدائم علي لعب دور الأخ الأكبر الذي لا يخطئ! »

أماء (موسى) برأسه في أسف .. ثم قال بغضب تصاعدي: - « معك حق .. أنا فعلاً السبب في كل آلت إليه الأمور! .. فقد كان لابد من عقابك المبكر علي كل أخطائك، خاصة ما فعلته مع تلك الفتاة المسكينة (لوسى)? .. والتي كان كل ذنبها أنها قاومت رغباتك .. فاستحقت القتل هي وأسرتها! »

(عرفان) بانفعال شديد مقابل:

- « أخبرتك مليون مرة .. أنني لم أكن بوعى! »

- « إنها حجتك الدائمة .. »

واستمر تشاحنهم دون إدراك ما أصاب (مارجريت)? .. بعدما تردد اسم (لوسى) في أذنها مليون مرة في ثانية واحدة! ..

انتزعت خنجرًا صغيرًا حادًا .. ووضعت فوق رقبة (عرفان) تردد في جنون: - « أنت مَنْ قتل (لوسى)? »

ازدرد لعابه بصعوبة قائلاً .. والخنجر يدخل في رقبته: - « ماذا أصابك يا امرأة? .. نحن في جبهة واحدة! »

غرزت الخنجر أكثر في رقبته وهي تردد:

- « لم تُجب علي السؤال؟ »

تراجع للخلف مُحاولًا تخفيف ضغط النصل، لكنه وجد الحائط في ظهره.. فقال دون فهم: - « إنها قصة قديمة! »

حملت عيناها نظرة لم يرها عليها من قبل.. وهي تصيف: - « يعني أنت مَنْ قتلها؟.. قتلت أيضًا الصغير (جون) و(باتريك)؟ »

أصيب (عرفان) بالرعب من ذكرها لتلك الأسماء..

- « لم أكن أقصد! »

ران الصمت علي الغرفة.. وفاضت عينا (مارجريت) بالدموع لكن دون انفعال!.. ودون أن تغلق عينيها لمرة واحدة..

- « أين دفنت جثتهم؟ »

لم يُرد (عرفان).. والدماء تسيل من وريده العنقى.. صرخت: - « تكلم.. »

صرخ (عرفان) أيضا وهو ينظر ل- (موسى): - « افعل شيئًا؟ »

تدخل (موسى) يقول لها:

- « ليس بعيدًا عن هنا؟ »

فاضت دموع (مارجريت) أكثر..

- « سترشدني إليهم.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يجد (طارق) و(ممدوح) مهربًا لهم سوي تسلق تلك الشجرة، كانت الأضخم، صعد الأول إلي قممتها محاولا تبين أي شيء..

- « أين نحن؟ »

كانت أقدام (باسل) الطويلة تقف عائقًا أمام استقراره!.. فبقي في مكانه بينما استمر (طارق) في الصعود، حتي أطل برأسه في حذر فوق قمم الأشجار.. ورغم الرياح الشديدة والرمال التي لطمت وجهه، استطاع رؤية المستشفى البعيدة، عاد يستقر بجوار (ممدوح) قائلا: - « كما توقعت.. نحن في قلب الحديقة السوداء؟ »

وأخذ يخبره بكل ما سمعه من (عبد الرازق) عن طبيعة المكان!.. أضاف (ممدوح) بسخرية: - « اسم رائع.. يدعو للتفاؤل!.. لكن ماذا بعد؟.. هل سنبقي

هنا كثيرًا؟»

- « لا أعرف! »

كاد (ممدوح) أن يضيف شيئًا، لولا أن شاهد فجأة بعض الرجال يخرجون بحذر من فجوة ما بجذر الشجرة؟!.. انتبه (طارق).. فكنتم أنفاسه حتي ظهر (صقر) و(هارون)!!..

كان الجميع يحمل السلاح.. ويحاصر المنزل.. همس (ممدوح) بعد ابتعادهم: - « هذا ليس جيدًا! »

(طارق) بدهشة تختلط بالصدمة:

- « ماذا يفعل (هارون) هنا؟ »

(ممدوح) بدهشة أكبر:

- « السؤال الأهم هو.. من أين أتوا؟ »

- « معك حق! »

في تلك اللحظة اهتز هاتف (طارق) الذي بجيبه، يبدو أن وضعهم فوق قمة الشجرة أتاح الإشارة، اتسعت عيناه بلهفة وهو يتمتم: - « الهاتف يرن.. »

(ممدوح) بسعادة:

- « يا فرج الله.. »

أخرج (طارق) الهاتف بصعوبة، كانت (دارين)!!.. ابتسم في سعادة ساخرة وهو يُغلق الاتصال: - « أشكرك يا عزيزتي.. »

ثم أسرع يتصل بأول اسم خطر بباله، العقيد (مراد).. لم يغب الرد..

- « الحمد لله أنني وجدت سيادتكم، أنا الدكتور (طارق) طبيب مستشفى (رأس الحكمة) الذي »

قاطعته العقيد بترحاب:

- « طبعًا أذكرك.. أهلا يا دكتور كيف حالك؟ »

- « في أسوأ ما يمكن.. »

وأخذ يبلغه بكل التفاصيل.. أجابه العقيد باهتمام: - « لا تقلق.. نحن قريبون.. ونرصد كل ما يحدث.. »

- « الحمد لله.. لماذا لا تتدخلون إذن؟ »

العقيد:

- « لقد تم تحديد موقع شريحة هاتفك بالضبط، لتبقي حيًّا بعض الوقت.. »
انتهى الاتصال.. وزفر (طارق) قائلاً بحماس: - « إنهم في الطريق إلينا.. هذا يصلح فيلم سينما! »

أشار له (ممدوح) فجأة بالصمت!.. وهو يلوح بيده بحذر. بتر (طارق) عبارته.. ونظر فوجد مجموعة أخرى من رجال السلفية الجهادية تمر تحتهم، تأمل (ممدوح) الوجوه بقلق.. قبل أن يهمس قائلاً بعد ابتعادهم: - « أنا لا أعرف مَنْ هؤلاء؟.. أو ماذا سيحدث؟.. لكن يبدو من تلك العيون، أنه قد فات أوان التراجع؟! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



14 - الختام..

لم يمر سوي دقائق بعد ظهور الجهاديين حتي فتح الجميع النار!.. فالكمل كان له ثأر ما عند الآخر. لكن هذا لم يستمر طويلًا!.. إذ سرعان ما أتى ذلك الانفجار الكبير ليطيح بالمبني والجميع.. ويسود الصمت!..

لم يقو (طارق) أو (ممدوح) علي البقاء فوق قمة الشجرة بسبب الدخان، سقط الاثنان يسعلان بشدة.. ولم يُفكرا كثيرًا!

نظر كل منهم للآخر تلك النظرة.. وزحفا نحو الفتحة التي خرج منها (هارون) و(صقر) بجذر الشجرة.. فوجدا (رزوقا) يجلس ساكنًا في هدوء يحمي أنفاسه من التراب، نهض يقول باحترام: - « أهلا دكتور (طارق).. »

ابتسم الأخير بسخرية يشملها الدهشة من وجوده علي تلك الحالة من الثبات الانفعالي والتصالح مع النفس وسط كل ما يحدث..

- « أهلا!! »

ثم سأله بأنفاس متلاحقة عصبية:

- « إلي أين يقود ذلك النفق؟ »

- « المستشفى.. »

ضاقت عينا (طارق) وهو يفكر:

- « سرداب المياه.. صح؟ »

- « نعم.. »

أشار (طارق) ل- (ممدوح) بأن يتبعه وتحرك، استوقفه (رزوقا) باحترام: - « إلي أين يا دكتور؟ »

ضحك (طارق) بهيستيرية:

- « سأتركك تستنتج ذلك!! »

وشرع في السير عدة خطوات، قبل أن يستطرد (رزوقا) بخبث يُجيده: - « هناك طرق فرعية كثيرة ستقابلك.. ولابد من وجود دليل! »

تسمر (طارق) مكانه يزفر بقوة:

- « وطبعًا هذا الدليل لابد أن يكون أنت؟ »

نظر (رزوقا) نحو الفتحة يضيف بأسف:

- « نعم.. لكن أخشي أنه علينا انتظار البعض! »

- « إذا كنت تقصد (هارون)؟.. فلن يأتى!.. الانفجار أطاح بالجميع.. »

- « لم نتأكد من هذا بعد.. »

ضاقت عينا (طارق) للحظة يفكر.. ثم قال بحسم: - « سأدفع لك.. »

هنا.. تقدمهم (رزوقا) باحترام وهو يردد: - « الطريق من هنا أيها السادة!! »

لم يندهش (طارق) أو (ممدوح) الذي ابتسم.. وأخذ يسيرا خلفه طيلة ساعة تقريباً دون توقف.. حتي ظهر باب بئر المياه..

- « وصلنا.. »

تسلق (ممدوح) أولاً السلم المعدنى.. ثم ارتمي علي أرض حديقة المستشفى يتنفس هواء العاصفة التي بدأت تهدأ.. وهو يقول: - « سأعمل جاهداً علي عدم رؤيتك مرة أخرى في حياتي! »

رد (طارق) وهو يلهث:

- « الكل يقول هذا دوماً!! »

بعدها استدار يرمق (رزوقا) بحيرة متسائلاً: - « مع مَنْ تعمل بالضبط؟ »

أماء (رزوقا) برأسه في احترام يقول:

- « أنا خادم للقيمة عيشي فقط يا دكتور.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت (مارجريت) هي التي تسببت في الانفجار؟.. فعندما رفع الجميع السلاح وبدأ إطلاق النار.. ضغطت ذلك الزر.

مات (عرفان) و(صقر) بعد الثانية الأولى للانفجار..

(هارون) اختفى!!.. ولم يعثر له أحد علي أثر..

مات أيضاً زعيم الجبهة السلفية، بعدها هرب ما تبقي من رجاله..

أما (موسى) فوجد (مارجريت) تضع خنجرها فوق رقبته.. وهي تقول ببشاعة: - « أين مكان جثث أولادى؟ »

استوعب (موسى) سبب إصرارها!.. إنها الأم الثكلي التي تريد الخلاص!.. نهض يترنح.. قائلاً لما تبقي من رجاله: - « اتركوها.. »

استجابوا للأمر ونحوا السلاح، لكن رغم ذلك ظلت (مارجريت) تصوب الخنجر نحو رقبته..

سارت خلفه تنزف الدماء ببطء لربع ساعة، حتي خرجوا من الغابة وظهرت صخرة (يعقوب)!! أشار لبقعة معينة قائلاً: - « هنا.. »

فاضت عينا (مارجريت) بدموع لم تعرفها من سنين.. ثم قالت بأنفاس أخيرة: - « احفر؟ »

أمر (موسى) بتلبية رغبتها.. فحفر الرجال لعمق مترين ونصف تقريباً حتي ظهرت الرفات!!

سقط الخنجر من يد (مارجريت).. وسارت مُترنحة حتي حافة الحفرة تنظر!.. رفع الرجال أسلحتهم نحوها من جديد.. فأشار لهم (موسى) بالتراجع.. واقترب منها يقول بإشفاق: - « لقد حاولت حمايتهم لآخر لحظة.. »

نظرت له في خواء.. ثم هوت في الحفرة ترقد بجوار أولادها، تتحسس بقاياهم بأصابعها.. قبل أن تسكن تمامًا عن الحركة..

انحني أحد الرجال الذي كان مازال يقف بالحفرة يفحصها: - « ماتت.. »

أشار له (موسى) بالصعود.. ثم أمر بدفنها مع أولادها، عادت الأرض للتساوي في اللحظة التي ظهرت فيها بعض قوات الجيش يتقدمهم العقيد (مراد): - « مرحبًا يا شيخ (موسى).. »

الأخير بغلظة:

- « أهلاً بسيادة العقيد.. »

اقترب يسأل:

- « ماذا تفعل هنا يا شيخ؟ »

نظر له (موسى) في تحدي قائلاً:

- « السؤال هو ماذا تفعل أنت هنا في أراضينا؟ »

ضاقت عينا العقيد.. قبل أن يقول بشدة:

- « الجثث كثيرة اليوم؟.. وهناك أسئلة تحتاج إلي إجابات؟ »

طوح الشيخ بعباءته قائلاً:

- « الله معكم.. »

ثم نظر لرجاله وهو يستطرد بلهجة أميرة أخيرة: - « هيا يا رجال.. »

وانصرف دون أن يعترض طريقه أحد.. لاحقه العقيد يضيف بتحدى: - «
سنلتقي قريبًا يا شيخ!»
لكن لم يجاوبه سوي الصمت..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عثرت قوات الأمن علي تلك الخزنة الكبيرة.. ولم يستطع أحد إثبات شيء
علي الشيخ (موسى)!.. والذي تغير تمامًا بعد ذلك اليوم.. وأصبح صوت العدالة
في (رأس الحكمة)!!

نهض (ماجد) من النوم العميق يتساءل:

- « ما الذي حدث؟.. هل انتهت العاصفة؟ »

(رزوقا) عاد يمارس عمله كأن شيئًا لم يحدث!..

(ممدوح) حزم حقيبته ليلاً.. وسافر دون وداع أحد!..

(المدير) كان كالعادة عنده حالة وفاة!..

لم يبق سوي الإشارة إلي شخصية (منتصر زيكو)؟.. هذا طبعًا لمن ما زال
يتذكر الاسم؟.. إنه المدير الوحيد الذي جعل كل المرضى لا يأتون المستشفى
لطلب العلاج، بعدما قرر استثمار الفناء لبيع البطيخ؟!.. وتخصيص الموارد
للوزارة.. فاعتبروه عبقرًا!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتهي الصيف.. وعاد (طارق) إلي (القاهرة) يكمل رحلته مع الطب، لكن قبل
ذلك كان لابد من قول: وداعًا (دارين).

كان لابد من غلق ذلك الملف بحذر شديد.. فقصّة تورط فتاة مراهقة صغيرة،
يقف وراءها أب عصبي ومنطقة شعبية متحمسة، مع شاب ريفي ساذج!..
حدثت كثيرًا من قبل.. وستظل تحدث!

طلبها (طارق) واتفقا علي موعد. خرج من المستشفى بعد يوم عمل طويل
شاق ليجدها في انتظاره، كانت عصبية.. متوترة.. وقابلة للانفجار، اقترب
يقول: - « كيف حالك؟ »

صمتت تتأمل بهجنون.. ثم قالت بانفلات:

- « هل كان صعبًا لتلك الدرجة أن تكلمني مرة واحدة؟ »

نظر(طارق) لعينيها.. فأدرك أنه مهما حاول شرح الأمر بالمنطق والعقل، لن تتوقف عن ملاحظته!! لهذا قرر الكذب؟!

أشاح بوجهه قائلاً بعذاب مُفتعل:

- « معك حق لقد كُنت قاسياً!.. لكنني لم أفعل هذا إلا بعدما عرفت أنني شخص محكوم عليه بالإعدام.. »

صدمتها العبارة لدرجة أنها لم تعلق!.. هنا.. أخذ (طارق) نفساً عميقاً ثم أردف بنفس درجة التأثير: - « ففي تلك الليلة التي أحضرت فيها العشاء، جاءني تليفون من البلد يقول أن عائلة (سليم) قد عرفت مكاني بالقاهرة.. »

اتسعت عيناها في إثارة..

- « ومن عائلة (سليم)؟ »

كان (طارق) يعرف أنها تحب الأفلام القديمة وتتعايش معها لدرجة التوحد، صمت لحظة.. ثم أجاب شارداً بنظره نحو نهاية الطريق..

- « التي تريد أخذ الثأر منى.. »

وضعت يدها علي فمها تكتم شهقة كادت تفلت.. وهو يستطرد: - « نعم.. لهذا هربت في الفجر دون حتي أخذ أغراضى! »

دمعت عيناها قائلة:

- « ولماذا لم تُخبرني بكل هذا؟ »

- « كُنت أخاف عليك.. صدقيني لم يكن الأمر سهلاً.. »

بعد هذا اللقاء بدأت اتصالات (دارين) في التراجع حتي توقفت تماماً.. فالعلاقات التي تموت ببطء من الصعب عودتها!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

آذان الفجر..

ابتسم (طارق) بسخريه.. وهو يغلق يوميات (أوغاد في حياتى).. فحتي الليلة الوحيدة التي كانت هادئة، لم يستطع النوم فيها!!

نهض يصلى.. ثم نام في عمق حتي أيقظه (عبد السلام) في العاشرة صباحاً..

- « صباح الخير يا دكتور.. »

فتح (طارق) عينيه بصعوبة وهو يسأل:

- « ماذا هناك.. »
- « حالة جراحة تطلبك بالاسم.. »
- فرك عينيه وهو يعود للنوم:
- « استدعي الدكتور (ممدوح).. »
- « الدكتور (ممدوح) غادر المركز باكراً يحمل حزمة من الورد الأحمر، قال إنه ذاهب للمطار لوداع صديق.. »
- نهض (طارق) يجلس القرفصاء يفكر بدهشة:
- « ورد أحمر!.. ماذا سوف يفعل هذا المغفل؟.. لقد كنت أُمزح معه! »
- « هل تقول شيئاً يا دكتور؟ »
- عاد (طارق) ينتبه لوجود (عبد السلام) قائلاً: - « لا.. »
- ثم أشار له بالانصراف ونهض يستعد للنزول..
- أنهي الكشف علي الحالة، في اللحظة التي دلف فيها (ممدوح) للمركز، حينئذ حاول (طارق) الهرب أو حتي الاختباء!.. لكن تلك السعادة البالغة التي وجدها مرسومة علي وجه (ممدوح) جعلته يتراجع..
- ومما زاد المشهد حُبّالاً!.. أن (ممدوح) بمجرد رؤيته اندفع نحوه يُقبله مردداً: - « أشكرك يا صديقي.. »
- (طارق) في بلاهة:
- « ما الذي حدث؟ »
- « لقد صارحت (فدوى) بمشاعري.. وعجبها جدّاً الورد الأحمر! »
- « حقيقى؟ »
- « نعم.. أنت عبقرى!! »
- ابتسم (طارق) بسخرية:
- « لقد صار لدي فضول كبير لرؤيتها!!! »
- « قريباً.. قريباً جدّاً.. »

في الكتيب القادم إن شاء الله، نتحدث عن (فتاة جميلة أخرى)، لكن أكثر مما ينبغي!.. أكثر من قوة التحمل!.. هذا ليس عدلاً!

كانت مشكلة تلك الفتاة أنك تُصدقها، تُصدقها حين تقدم الاهتمام.. البكاء.. الفراق! تُصدقها في كل حالاتها!.. إنها تملك دائماً القدرة علي إقناعك بالشيء وعكسه!.. فأنت اليوم فتي أحلامها.. لكن غداً قد لا تكون! حقاً.. لم يُقابل (طارق) فتاة تتمتع بكل تلك الجودة من التذبذب الانفعالي من قبل!!

موعدنا مع (فتاة عاصفة)..
∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طارق عبد الملك
رأس المحكمة
∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



متميزون للكتب النصية



Group Link – لينك الانضمام الي الجروب

Link – لينك القناة

فهرس..

[تنويه..](#)

[المقدمة](#)

[2 - الفريق..](#)

[3 - الشيخ موسى..](#)

[4 - الشاطئي..](#)

[5 - الغامضة..](#)

[6 - أشياء لا تحدث..](#)

[7 - البلدة..](#)

[8 - صخرة يعقوب..](#)

[9 - الغامض..](#)

[10 - هارون..](#)

[11 - مستورة..](#)

[12 - الماضي..](#)

[13 - النهاية..](#)

[14 - الختام..](#)